الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر ـ الوادي ـ

كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

حضــور التصــوف في أدب الرسائــل

رسائل الشيخ أحمد التّجاني أنموذجا

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

تخصص أدب حديث و معاصر

إعداد الطالبتين:
أحلام حميّـد
نجاح تواتـي

إشراف الدكتـور:
عبد الرشيد هميسي

أعضـاء لجنـة المناقشـة

الاسم و اللقب	الصفـــة	الجامعة الأصلية
أ.د محمد لمين شيخة	رئيســـا	جامعة الوادي
د. عبد الرسيد هميسي	مشرفا و مقررا	جامعة الوادي
د. ثريـا برجوح	مناقشـــة	جامعة الوادي

الموسم الجامعي: 1439_1440هـ /2018_2019 م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاء اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ* الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ* لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)

[يونس 62-63-64]

إهـــداء

بسم الله أبدأ كلامي... الذي بفضله و صلت لمقامي هذا، الحمد و الشكر على ما أتاني من فضل و نعم واللهم صلّ و سلم على سيّدنا محمد الفاتح لما أغلق و الخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق و الهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره و مقداره العظيم سبحان ربك ربّ العزّة عمّا يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين .

إلى من قال فيهما المولى عزّ و جل: ﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** ﴾. والدايا الكريمين أطال الله في عمرهما، اللذين وهباني الحياة و الأمل و النشأة على حب الاطلاع و المعرفة . و إلى أفراد أسرتي إخوتي الأعزاء **إيمان، سفيان، حسين و بشرى** سندي في الدنيا أدام الله جمعنا على الخير و طاعة الله .

إلى كل من تجمعني بهم صلة قرابة و أخص بالذكر الغاليتين **سمية و فلة** ، أو رابطة صداقة وخاصة حبيباتي المشاغبات اللواتي رافقنني في الدراسة **كلثوم، هالة، هناء، كوثر، سعيدة** .

و إلى كل من ساندني و شجعني من قريب أو بعيد، و أخص بالذكر أساتذتي الكرام كل باسمه، و لا أنسى رفقاء الدراسة.

و أتوجه بتحية خاصة و عطرة إلى شيخي و قدوتي و سندي د: **محمد العيد التجاني** لدعمه الدائم لنا و توجيهه لنا لطريق الله الذي فيه صلاح البلاد و العباد .

و في الاخير أرجو من الله تعالى أن يجعل عملي هذا نفعا يستفيد منه جميع الطلبة المتربصين المقبلين على التخرج .

الطـالبة : حميّد أحلام

شكر و عرفان

الحمد و الشكر لله عز وجل على نعمه العظيمة علينا و رحمته الواسعة التي غمرتنا و أوصلتنا إلى إتمام مذكرتنا هذه و في مسار العلمي البحثي ككل.

و نشكر أستاذنا المشرف على مساعدتنا و مرافقتنا الدائمة في لإتمام هذا البحث و الذي لم يبخل علينا بشيء، سواء من نصح أو توجيه أو دعم معنوي ...

و نشكر كل من ساهم من قريب أو بعيد في إتمام هذا العمل، كل باسمه و مكانته و معرفته، و أخص بالذكر أستاذتنا أمينة تجاني التي كانت نعم السند و نعم المعين في مشوارنا هذا ...

شكــرًا لكم جميعًـا

مقدمة

مقـــدمـــــــة

إن موضوع التصوف من الأكثر المواضيع إثارة للجدل منذ ظهوره لأول مرة إلى اليوم، أهو سلوك متبع، أم منهج محدث، أم هي فلسفة غربية دخيلة على ديننا الإسلامي، خاصة أنّ من بين الإشكاليات المطروحة في زمن ظهوره الأول. فالتصوف الإسلامي جاء مقترنًا بفكرة الزهد، الذي أنتجه المتصوفة بمختلف اتجاهاته، ، فهو يبحث في النفس الإنسانية بعمق فلسفي يسعي لتطهير النفس والروح من حب الدنيا وزينتها، وإدخال الطمأنينة إليها.

رغم الاختلاف الحاصل في هذا الموضوع، إلا أن التصوف بقي ملاذ الكثيرين في نهج طريق الحياة، بانتهاجه سلوك متبع، فباختلاف الأنواع، اختلفت المناهج التي وضعها هؤلاء، فالتصوف ظهر أول مرة عند أفراد متفرقين، ثم تطور إلى أن أصبح عند جماعات، و هذه الجماعات أنتجت ما يعرف بالطرق الصوفية، فهي كثيرة و متنوعة، لكن أساسها و منبتها واحد، و كذلك الهدف الذي تصبو إلى الوصول إليه هو طريق الله الواحد الأحد.

و من أشهر هذه الطرق الطريقة التجانية التي أسسها الشيخ أحمد التجاني، و لقد عبّرت هذه الطرق الصوفية عن مضامين منهجها الصوفي و ثمارها بطرق شتّى، فمنهم من نظم الشعر، و منهم من لجأ إلى النثر الصوفي: الخطبة، فن الترسل ... و هذا الأخير هو الفن الذي توسل به الشيخ أحمد التجّاني لتوصيل مضامينه و معانيه.

و يعتبر موضوع التصوف و علاقته بالطرق الصوفية من بين المواضيع التي أخذت جانبا مهما في هذا المجال، لذا ارتأينا من هذا الباب أن نتناول موضوع بحثنا و المتمثل في:" حضور التصوف في أدب الرسائل، رسائل الشيخ أحمد التجّاني أنموذجا، و ذلك بغرض تبيان ما للموضوع من أهمية ومحاولتا منا إيجاد بعض الأجوبة عن الأسئلة المتشعبة فيه.

إن من بين الأسباب التي دفعتنا للبحث في هذا الموضوع هي حب الاستزادة من مضامين التصوف التي أنتجها الشيخ أحمد التجّاني، و ارتأينا أيضا إلى إبراز كيف

تشخصت مضامين التصوف في جنس أدبي(فن الرسالة)، و كذلك للتعرف على فن الترسل، و من ناحية أخرى أردنا الاطلاع على الوجه الآخر للشيخ أحمد التجاني وهو يمارس صنعة الأدب، فقد عهدناه واعظًا، في مذكرتنا الموسومة بـ:" حضور التصوف في أدب الرسائل، رسائل الشيخ أحمد التجّاني أنموذجًا.

إنّ التشعب الكبير في الأفكار و الرؤى و التوجهات، شكّل لنا إشكالية عامة و التي فحواها:
– ماهي مضامين التصوف التي برزت في رسائل الشيخ أحمد التجّاني، و كيف تجلت في رسائله؟

و عن هذا التساؤل برزت أسئلة فرعية تمثلت في:

- كيف ظهر التصوف في فن الترسل؟
- كيف حدد الشيخ أحمد التجاني مفهوم التصوف و ما هو منهجه المتبع؟
- ماهي أكثر المضامين ظهورا في رسائله؟

إن من بين الدراسات التي كانت حافزا و مرجع لنا في تناولنا لهذا الموضوع، هي مذكرة الباحثة أمينة تجاني، و كان موضوعها تحت عنوان: الحجاج في رسائل الشيخ أحمد التجّاني، و منها أردنا تناول الرسائل من ناحية مضامين التصوف.

و بما أن الدراسات في هذا المجال قليلة، و خاصة تناولها من ناحية الشكل الخارجي، ارتأينا أن نسُّد ولو باباً بتناولنا الرسائل من ناحية مضامين التصوف، و إبراز بعض الأفكار، و هو هدف الدراسة الأساسي.

و لهذا السبب اخترنا الخطة التالية المتكونة من:

- مقدمة و فصلين و خاتمة:

- أمَّا الفصل الأول قسمناه إلى مبحثين، مبحث درسنا فيه ماهية أدب الرسائل: عرفناه و طرقنا إلى نشأته و تطوره و أنواع. و المبحث الثاني طرقنا فيه ماهية التصوف و أصل التسمية، و نشأته و أنواعه
- أمَّا الفصل الثاني فقد قسمناه أيضا إلى مبحثين: مبحث رصدنا فيه مفهوم الحب الإلهي الموجود في رسائل الشيخ، و مفهوم النور المحمدي، ثم الأحوال و المقامات، و الشريعة، و الكشف و الفتح. و المبحث الثاني رصدنا فيه مفهوم الولاية و الأخلاق و التزكية: كالذكر و التقوى و العفو.
- و أتممنا البحث بملحق الذي يحتوى على تعريف الشيخ أحمد التجاني، و كذلك التعريف بالطريقة التجانية، و أيضا نموذج مخطوط للرسالة مصورة، و بعذ الأدعية للشيخ.

و اخترنا في دراستنا هذه المنهج الموضوعاتي، الذي اعتمدناه لأن الدراسة تقتضي ذلك. و كذلك استعنَّا بالمنهج التاريخي من ناحية النشأة. الذي أوصلنا لانتهاج الخطة السابقة.

و من بين أهم المصادر و المراجع التي اعتمدنا عليها: كتاب جواهر المعاني و بلوغ الأماني في فيض سيدي أحمد التجاني للشيخ علي حرازم، و كتاب مختارات من رسائل الشيخ سيدي أحمد التجَاني لصاحبها محمد الكبير التجّاني، و كذلك اعتمدنا على كتاب الرسالة القشيرية للقشيري و أيضا كتاب عوارف و المعارف للسهروردي. **و** من بين المذكرات التي ساعدتنا في دراستنا، مذكرة بعنوان حضور التصوف في الخطاب الروائي العربي المعاصر لصاحبها عبد الرشيد هميسي.

و من بين الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث صعوبة الموضوع في حد ذاته و اقترانه بضيق الوقت المتاح لأنه موضوع متشعب للإلمام به، خاصة أن الموضوع جديد في الدراسة، و أيضا لقلة المراجع المتعلقة به فهي قليلة جدا. لكن رغم كل هذه الصعوبات نحمد

الله تعالى الذي أعاننا على إكمالها في هذه الصورة التي على أقل أرضتنا، و من هذه الدراسة نفتح الباب للباحثين آخرين لإكمال ما بدأناه.

و أخيرا نقدم جزيل شكرنا لأستاذنا المشرف الدكتور: **عبد الرشيد هميسي**، الذي ساعدنا في دراستنا، و لم يبخل علينا بالنصح و تصويب و التوجيه و أعانتنا كثيرا في دراستنا هذه.

الوادي: 2019/07/05.

الفصل الأول

<u>الفصـل الأول</u>: تـأسيس مفاهيمي: أدب الرسائل – التصوف.

المبحث الأول: ماهية أدب الرسائـــل.

1- تعريـف أدب الرسائل: * لغـــة.

* اصطلاحا.

2- نشـــأتـــه و تطـوره.

3- أنـــواعـه .

4- الخصائـص البنائيـة للرسالـــة.

أ- بنية المقدمات.

ب- بنية المضامين.

ج- بنية الخواتم و النهايات.

5- أغراضـه عند الشيخ أحمد التّجاني.

المبحث الثاني: ماهية التصوف و نشأتـــــه.

1- تعريف التصـوف: * لغـــة.

* اصطلاحا .

2- أصل التسمية.

3- نشـأتـــــه.

4- أنـواعـــه .

المبحث الأول: ماهية أدب الرسائل:

يعتبر فن الترسل من الفنون النثرية التي اعتمد عليها العرب منذ القدم، فهو الفن الذي كان و لازال يستعان به في الأدب، رغم أنه في العصر الحديث ضعف بريقه، لكن من ناحية أخرى تم في شكله تنوع كبير. و من هنا سنتطرق إلى مفهوم هذا الفن من الناحيتين اللغوية و الاصطلاحية.

1- تعريف أدب الرسائل:

أ- الرسالة لغة:

عرف الزبيدي الرسالة في معجمه تاج العروس أنها: " لفظة مشتقة منها الإرسال ، بمعنى التوجيه وبه فسر إرسال الله عز وجل أنبياءه عليهم السلام، كأنه وجه إليهم أن أنذروا عبادي، ومنه الاسم الرسالة بالكسرة والفتح والرسول و الرسيل ... والرسول معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه وأيضا تراسلوا ، بمعنى أرسل بعضهم إلى بعض " .[1]

و يعرفها الفيروز أبادي فيقول : " الإرسال و التسليط، الإطلاق والإهمال، والتوجيه والاسم الرسالة بالكسر والفتح ".[2]

و نجد أيضا مفهوما آخر للرسالة بتعريف ابن وهب الكاتب بقوله: " والاسم والرسالة ، أو راسل يراسل مراسلة فهو مراسل .... وأصل الاشتقاق في ذلك أنه كلام يراسل به بعيد ".[3]

---

[1] الزبيدي محمد مرتضى الحسني: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الفتاح الحلو، التراث العربي، الكويت، ط2، المجلد29، 1998، ص 72-73 .

[2] الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ضبط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا، ط 6، 1998، ص 1006.

[3] ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، تقديم و تحقيق حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، القاهرة، مصر، 1969 ، ص 152.

و من خلال هذه التعاريف نجد أن مفهوم الرسالة عند المعجمين يكاد يكون واحداً فكلها تدل على إرسال شيء من طرف مرسل إلى طرف آخر مستقبل.

ب- **الرسالة اصطــلاحا:**

أما فيما يخص التعريف الاصطلاحي للرسالة فهو لا يختلف كثيرا عن مفهومه اللغوي ، و هذه بعض التعاريف التي وضحت المفهوم العام للرسالة:" الرسالة قطعة من النثر الفني تطول أو تقصر تبعا لمشيئة الكاتب وغرضه وأسلوبه، وقد يتخللها الشعر إذا رأى لذلك سببا، وقد يكون هذا الشعر من نظمه أو مما يستشهد به من شعر غيره، وتكون كتابتها بعبارة بليغــة وأسلوب حسن رشيق ، وألفاظ منتقاة ومعان طريفة " .[1]

و من هذا التعريف برزت بعض عناصر الرسالة و هي: بلاغة العبارة – حسن الأسلوب و رشاقته – انتقاء الألفاظ – قوة المعنى و طرافته.

أما في كتاب كشاف اصطلاحات الفنون فيعرفها التهانوي بقوله: " الرسالة في الأصل الكلام الذي أرسل إلى الغير وخصت في اصطلاح العلماء بالكلام المشتمل على قواعد علمية، و الفرق بينهما وبين الكتاب على ما هو المشهور إنما بحسب الكمال والنقصان فالكتاب هو الكامل في الفن والرسالة غير الكامل فيه ".[2]

و قيل أيضا: " هو فن قائم على خطاب يوجهه شخص إلى شخص آخر أو يوجهه مقام رسمي إلى مقام رسمي آخر".[3] و في هذا التعريف ربط مفهوم الرسالة بالخطاب، أي هو جزء مقترن به لا ينفصل عنه.

قال القلقشندي: " فأما كتابة الإنشاء، المراد بها كل مرجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام، وترتيب المعاني من المكاتبات و الولايات و المساحات و الإطلاقات، و مناشير

[1] عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1976، ص 488.

[2] محمد علي بن علي التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، د ط، د ت، ج2، ص 582 .

[3] حسين غالب: بيان العرب الجديد، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط 1، 1971، ص 181.

الإقطاعات ، و الهدن و الأمانات و الإيمان و ما في معنى ذلك كتابة الحكم و غيرها " .[1] و البارز في هذا التعريف أن القلقشندي حصر مفهوم الرسالة في مجموعة من العناصر كالهدن و الأمانات مثلا و لم يعط مفهوم موسع بل اصطبغ تعريفه بالطابع الرسمي للرسالة، مقارنة بصاحب التعريف الأول الذي أعطى مفهومًا واسعًا للرسالة و لم يحصرها في الرسميات بل أبرز عناصرها بصورة عامة و لم يقتصر على نوع معين .

و من جملة هذه التعاريف و الأقوال نجد أن للرسالة تَوَجُهات مختلفة، فمثلا نرى أن ابن خلدون قد ربط مفهوم الرسالة بالأخلاق أي ما تحويه الرسالة يجب أن يكون فحواه ذا قيمة أخلاقية ، و نجدها كمفهوم آخر هي صناعة الكتابة و التأليف، و كذلك تعدد فيما تشتمل عليه الرسالة كنوع نثري امتزاجه بالشعر و ما قد يشتمل على أمثال و حكم و غيرها، و من ناحية أخرى نجد أنَّ البعض جعلها عامة لكافة الناس و أما البعض الآخر فاقتصرها على فئة محددة من الناس .

2- نشأة و تطور أدب الرسائل :

لقد مر هذا الفن بعدة مراحل مهمة و كان له تأثير في عدة مواقف كبيرة و مثيرة في الساحة الأدبية و الحياتية العربية، و فرض نفسه كفن قائم بذاته. و من هنا نذكر أهم المراحل:

أ- أدب الرسائل في العصر الجاهلي :

لم يعرف العرب الرسائل في هذا العصر لسببين هما : انعدام التدوين و لاهتماهم الكبير بالشعر على حساب باقي الفنون التي عرفت في ذلك العصر، " أما الكتابة الفنية فلم يعرفها ذلك العصر ولم تصل إلينا منه أيّة شواهد، ووثائق كتابة فنية، إلا في فترة زمنية

[1] علي جميل مهنا : الأدب في ظل الخلافة العباسية ، ط 1 ، 1983 ، ص122.

متأخرة في العصور التي بعده كصدر الإسلام والعصر العباسي" .[1] لأن هذا العصر كان مقسم لقبائل مختلفة و لم يكن هناك سبب يدفعهم للتراسل فيما بينهم، و كذلك لم يعرفوا التدوين في هذا العصر. إن الحياة القبلية للعصر الجاهلي حَدَّت كثيرا من الفن النثري بأنواعه، لأن الحياة لمن تقتضي عليهم إلا الشعر لسهولة حفظه، و براعتهم فيه، لكن رغم هذا لم يمنع وجود بعضها، " إذا كنا نفتقد الأدلة المادية على وجود رسائل أدبية في العصر الجاهلي فمن المحقق أنها وجدت عندهم ألوانًا مختلفة من القصص والأمثال والخطب وسجع الكهان" .[2] و التي كانت نادرة، و كان البعض الآخر مرتبط بطابعهم الفصيح و البليغ كالأمثال و الحكم.

هناك من يقول : " إن فن الترسل في الأدب الجاهلي، اتصفت رسائله بالإيجاز والبساطة في التعبير دون صيغة لفظية، وكانت الرسائل عبارة عن توصيات وحكم وأمثال كرسالة – المنذر الأكبر – إلى كسرى أنو شروان ورسالة عبد العربي بن قيس الكلبي إلى قومه" .[3]

كما ذكرنا سابقًا أن الطابع القبلي في هذا العصر هو من حال دون انتشار و بروز هذا الفن فيه إلا نادرا، و أن اهتمامهم الكبير بالشعر هو من بين الأسباب المؤدية إلى ذلك.

ب- أدب الرسائل في عصر النبي صلى الله عليه وسلم:

بظهور فجر النبوة نبوة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي انتهجت طريق نشر الدين السمح ديننا الإسلامي و دعت إلى تنوير العقول النيرة من عقول جيل الصحابة الكرام، ملؤها الإيمان و العقيدة السمحة التي استطاع نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم من خلالها أن يغير من نسيج العقل الجاهلي، ليظهر بمظهر الحضارة الإسلامية الوليدة و بما

[1] المرجع السابق: ص 223.

[2] شوقي ضيف : العصر الجاهلي ، دار المعارف ، مصر، ط 1 ، ص 399.

[3] أمال داعوق سعد : فن المراسلة عند مي زيادة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط 1 ، 1986 ، ص 29.

أن الإسلام للناس كافة ، فإن الرسول صلى الله عليه عندما استقر به المقام في المدينة المنورة، عاصمة الناشئة أخذ يرسل برسائل لملوك و حكام أكبر الدول المحيطة، بل و الموجودة في عصره عليه السلام إضافة إلى أمراء العرب يدعوهم إلى الإسلام.[1]

فالنشأة الحقيقة لكل من الكتابة والرسائل كانت في العصر الإسلامي، حيث ارتبطت بالرسالة المحمدية، وهذا حسب الكتب الأدبية العربية، وهذا راجع لحاجة العصر و أهله، وأيضا للتطور الحاصل لكتابة كثير من شؤون المسلمين .

و نجد على سبيل المثال لا الحصر رسالته إلى هرقل يقول فيها النبي صلى الله عليه وسلم:" بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله و رسوله، إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإنني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين... " .[2]

لقد حققت الرسائل الهدف من إرسالها، و أدت دورها في بساطة و يسر على المستوى اللغوي دون صنعة و لا غموض و لا لبس، بفضل الدين الذي أحدث ثورة في كل المجالات بعد ظهوره و انتشاره.

ج- أدب الرسائل في عصر الخلفاء الراشدين :

و كذلك سار نهج سيد الخلق صلى الله عليه وسلم خلفاؤه رضوان الله عليهم ، فقد كانت الرسائل هي حلقة الوصل بين الداخل و الخارج ، و من أهم سمات هذه المرحلة :

1- الاقتباس من القرآن، و تجنب الغريب من الألفاظ، و الحرص على المقصد الواضح دون تعقيد، فالكتاب في هذه المرحلة تأثروا " بالقرآن الكريم و اقتبسوا منه، و تجنبوا الغريب

[1] ينظر: محمد حميد الله، الوثائق الاسلامية، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط4، ص139.

[2] مي يوسف خليف : النثر العربي بين صدر الاسلام و العصر الأموي ، دار قباء للطباعة و النشر ، ص 32 .

من الألفاظ، مع الحرص على وضوح المقصد و الإقناع، دون جنوح إلى عمق فلسفي أو تعقيد فكري، فالأساليب المختارة فيها تنويع و تأثير، مع بلاغة اللفظ و المعنى، و الإكثار من الحجج و البراهين، و صيغ الإقناع و الميل إلى الإيجاز، مع اقترابها من اللغة الخطابية".[1]

2- أما من ناحية اللغة فقد اعتنوا" بتهذيب الألفاظ، مع التأنق في صوغ العبارات، و محاكاة أساليب الكتاب و السنة، بالإضافة إلى ترتيبهم للمعاني و الأفكار دون تغلغل فيها، و قد ظهر الإيجاز في أول هذه الفترة و الميل إلى الإطناب آخرها" .[2]

3- زادت الحاجة إلى الرسائل في هذا العصر لاتساع رقعة الدولة الإسلامية و لكثرة الخلافات، و حاجة الفاتحين إلى إخبار الخليفة لهم بالأحوال و المهام، و بالنسبة للولاة فقد كانت الرسائل تمثل دستورا لهم، تعينهم في ممارسة مهام أمور ولايتهم .

4- لم يكن الكتّاب عشوائيين في تلك الفترة بل" كان الكاتب في عهد الراشدين شخصا يختاره الخليفة و يجعله في بطانته".[3]

5- تميزت الرسالة أيضا بالجزالة، و الميل إلى التلميح دون التصريح، و الإيحاء دون تفسير.

6 – لقد صارت الرسائل التي كتبها الرسول صلى الله عليه و سلم و صحابته الكرام – رضوان الله عليهم أجمعين- من بعده نماذج تحتذى و سنة تقتفى، من حيث المضمون و الشكل و الأسلوب" .[4]

---

[1] المرجع نفسه: ص 65 – 66 .

[2] أحمد الإسكندري : الوسيط في الأدب العربي ، مطبعة المعارف ، القاهرة ، مصر ، ص 136 .

[3] عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان ، ط 2 ، 1969 ، ج 1 ، ص375 .

[4] محمد يونس : في النثر العربي ، مكتبة لبنان ، ط 1 ، 1996 ، ص 178 .

د- أدب الرسائل في العصر الأموي :

بعد أن تعرفنا على بوادر الكتابة و الترسل في العصور السابقة ، فقد ظهر و برز هذا النوع بكل قوة في هذا العصر مع ظهور المكتبات و الدواوين ، و أنشأ معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه – ديوان الرسائل و ديوان الخاتم ، غلب على هذا العصر الإملاء من الخليفة .

اهتم الناس بالكتابة و أراد كل واحد أن يظهر براعته في جمال الأسلوب و سحر البلاغة ، حيث اقترنت ببروز معالم الصنعة من جناس و مقابلة و التصوير و برزت الكتابة هنا في كل من الرسائل الديوانية و الإخوانية .

أُسس في هذا العصر لأدب الرسائل فأبحت له قواعد و أصول يحتكم لها سواء في مضمونها و المراد من الكلام الذي تكتنزه أو من ناحية البدايات و الخواتيم ، و أما من ناحية اللغة " مما ميز رسائل هذا العصر ، حسن اختيار الألفاظ و براعة أداء المعاني ، وأناقة صوغ الكلام مع التبسيط في شرح الاغراض و الاسترسال في تفريغ المعاني " .[1]

هـ- أدب الرسائل في العصر العباسي :

تدور الأيام و تسقط راية بني أمية، و ترتفع راية بني العباس، و تستقر أمور الدولة، و ينعم الناس بالحضارة و الثقافة." في القرن الثالث هجري استمر السجع و سائر ألوان البديع في الرسائل الديوانية، و استمر في الرسائل الإخوانية أيضا في القرن الرابع عشر الهجري، وما بعده، و كان أكثر كتاب العصر العباسي يجنحون إلى السجع في كتاباتهم، و يستخدمون زخرف البديع و الترصيع. [2]

[1] كمال اليازجي : الأساليب الأدبية في النثر العربي القديم ، دار الجليل، الأردن ، ط 1 ، 1986 ، ص 63 .

[2] عمر الدقاق : ملامح النثر العباسي : دار الشرق العربي، لبنان ، ص 30 .

لكن بمرور الوقت بدأ يُلحظ التغير على مستوى الكتابة و بدأ الابتعاد عن التنميق المبالغ فيه في اللغة، و أدخلوا مصطلحات جديدة هذا بتأثرهم بالأجانب سواء فرس أو غيرهم. و لا ينكر أحد أن الأدب العربي وصل في العصر العباسي إلى أبهى حلة ، و هذا ينطبق كذلك على الرسائل .

يرى الدكتور علي جميل مهنا : " أن الترسل في العصر العباسي تأثر بأسلوب عبد الحميد، الذي يغلب عليه البسط و توازن العبارات، ومنذ القرن الرابع الهجري قويت شوكة السجع حتى تغلب على سواه من أساليب الكتابة، و لم يلبث بعد ابن العميد و الصاحب بن عباد و بديع الزمان أن أصبح النمط الشائع، و صار المترسلون لا هّم لهم إلا التأنق بأنواع البديع".[1]

مجمل القول نجد بأن الرسالة في العصر الجاهلي لم تظهر كفن مكتمل الملامح، بل ظهرت بصفة نادرة و كانت متضمَنة في الوصايا و الأمثال و الحكم، و حتى بعض الأبيات الشعرية، فجاءت كغرض منصهر فيه، فالطابع القبلي هناك لم يكن له داع، لاستقلالية كل قبيلة عن الأخرى، و الرسالة في هذا العصر غلب عليها الإيجاز، و البساطة في الألفاظ، و الارتجالية. بظهور الدين الإسلامي و الدعوة المحمدية برزت الرسالة في هذا العصر بشكل كبير، لما اقتضته الحاجة، وذلك لنشر الدعوة الإسلامية عبر أرجاء المعمورة، بدأت تبرز ملامح الرسالة الإسلامية شيئًا فشيئًا في شكلها و ألفاظها و جزالتها، و واصلت على ذلك النهج حتى عصر الخلفاء الراشدين، و كانت رسائل عصر صدر الإسلام مرجعًا لها. في العصر الأموي ظهرت الأحزاب، و ظهر التدوين و المكتبات و الدواوين، كل هذه العوامل ساهمت في تأسيس فن الرسائل كفن قائم بذاته، من حيث الشكل و الصياغة و الإيجاز و انتقاء الألفاظ، و كان للخليفة كتاب خاصون فيها، فأنشأ معاوية بن أبي سفيان أول ديوان للرسائل، اكتملت فيه ملامح الرسالة. و تواصل هذا الأمر إلى بدايات العصر العباسي، لكن

[1] علي جميل مهنا : الأدب في ظل الخلافة العباسية ، ص 224 .

بمرور الوقت، و بتداخل الثقافات الحاصل في هذا العصر، ابتعد الكتّاب عن التصنع و الزخرفة اللفظية، و ادخلوا مصطلحات جديدة على الرسائل، التي كان هدفها إبلاغي أكثر منه جمالي، خاصة في الرسائل الديوانية.

3- أنـواع الرسائـل :

أ – الرّسائـل الدّيوانّيـة :

هي الرسائل التي تصدر عن ديوان الخليفة أو تتبادلها دواوين الدولة فيما بينها، فهي " تمثّل كل ما يحيط بالديوان من سياسة أو إدارة أو أمور الحكم أي تتعلق "بأمور الدولة و شؤونها، و لذا يُحرص فيها على دقّة المعلومات و مراعاة الرسوم المتعارف عليها في الكتابات ذات الصبغة الرسمية، و من هذا النوع : العهود و التقاليد و المناشير ... " .[1] و هذا النوع من الرسائل يكون أسلوبه مباشرًا تقريريًا و المعلومة فيه دقيقة و تبتعد عن الأساليب الشعرية و الجمالية التي تحملها الأنواع الأخرى من الرسائل.

إن الرّسائل الديوانيّة رسائل رسميّة تدور موضوعاتها " حول السّلطة و علاقتها برعاياها في الأمور الدّينيّة و الدّنيوية ذات الشأن ، كما أنها (...) تبتعد في صياغتها كل البعد عن الأساليب الشعريّة، و هذا لإعطاء الكلام حقّه ".[2] و هذا لأن الصبغة الرسمية لهذا النوع من الرسائل تتطلب الدقة الألفاظ و الاختصار و كلامًا ذا مدلول بليغ محدد بموضوعه.

---

[1] محمد يونس عبد العال: في النثر العربي قضايا و فنون و نصوص، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، ط1، 1996، ص 162 .

[2] نجاة غقالي: أدبية الخطاب النثري في كتابات ابن خلدون، رسالة ماجستير، إشراف : علي خذري، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2005/2004، ص 162 .

ب – الرّسائـل الإخوانّيـة :

أما هذا النوع من الرسائل فهو يختلف عن سابقه لكونه " ميدانا فسيحا للإبداع يتبارى فيه الكُتّاب و الأدباء، و يتيحون لأقلامهم و قرائحهم أن تنطلق على سجيّتهم، و أن يعبّـر أصحابها عن عواطفهم الشخصية في لغة مصقولة منتقاة و أساليب قويّة موشّاة ... " .[1]

فهي رسائل تعبر عمّا يختلج في النفوس من أحاسيس و مشاعر جياشة تكون موجهة للأهل أو الأصدقاء أو الأقارب " و هذا النّـوع هو الأقرب إلى الأدب و إيحاءاته اللفظيّـة و الأسلوبيّة و موضوعاته: الشكر و الشوّق و العتاب و التّهنئة و الشّكوى و المدح و الهجاء ... و يمكن أن يلحق به الرّسائل الوعظيّة و الرّسائل الدّينيّة الجدلية " .[2] و هذا النوع من الرسائل يتميز بالشعرية و بعيد عن الرسمية، يكون الأسلوب هنا خاصًا و متفاوتًا بين الكتاب.

4- الخصائص البنائية للرسالة :

أما الآن فسنتطرق إلى الخصائص البنائية للرسائل وما يشتمل عليه كل جزء من أجزاء الرسالة :

أ-بنيــة المقدمــات:

لقد اختلفت هيكلة الرسالة و تطورات مع مرور الزمن في الأدب العربي،" منذ رسالة عبد الحميد الكاتب إلى موسوعة أبي العباس القلقشندي مرورا بغيرهما من المؤلفات التي

[1] عبد العزيز عتيق : الأدب العربي في الأندلس ، ص 454 .

[2] محمد يونس عبد العال : في النثر العربي، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط1، 1996 ، ص 162 .

نظرت لهذا اللون الأدبي، و عن هذا الاختلاف يقول الكلاعي : "ونظرت .... أعزك الله في صور الرسائل و استفتاحاتها فوجدتها أيضا تختلف " .[1]

وتختلف إستفتاحات الرسائل ، ويختار الإستفتاح المناسب لمنزلة المرسل إليه فقد يذكر مقدما عن المراسل بصيغة :" لفلان من فلان وقد يؤخر ذكره فيكتب من فلان لفلان ، وتكون في حالات أخرى بإيراد كنية المرسل إليه أو رتبته ، غير أن كل الإستفتاحات كانت ترعى فيه لجودة والبراعة لأنها تقع في البداية وهي أول ما يطرق السمع من الكلام قد كان يلجأ إلى المنظوم فتبدأ الرسالة بأبيات شعرية لكاتبها أو لغيره تدل على المضمون العام لها وتختصره في كلماتها، و كثيرا ما يلجأ الكتَّاب للإشارة إلى غرض الرسالة في مطالعها ومقدماتها كعملية ربط و حسن تخلص" .[2] و كانت كل مقدمات الرسائل تشمل البسملة والصلاة على النبي " صلى الله عليه وسلم " على المرسل و المرسل إليه ، وتتضمن الدعاء إضافة إلى التحية التي تذكر قبل البعدية وقبل الختام.

ب-بنيــة المضاميــن:

ينتقل كتاب الرسائل إلى المراد من رسائلهم وبحسن تخلص لترك الموضوع الذي يريدون معالجته في رسائلهم ، وغالبا يقع حسن التخلص بصيغة :" أما بعد و هي وقف بين الإبتداء والشروع في الموضوع المراد ذكره في الرسالة ، وقد تنوعت المضامين في الرسائل بنوعيها الإخواني و الديواني و مست مختلف جوطانب الحياة السياسية و الاجتماعية فكان كتاب الدواوين يكتبون بتولية القادة والقضاة والأمراء وفي الإخواني

[1] آمنة الدهري: الترسل الأدبي بالمغرب، منشورات كلية الآداب و العلوم الانسانية بالمحمدية، جامعة متشيغان ، 2008 ، ص 37.

[2] خيرة بن غوتي: فتيحة عبد اللاوي: فن الترسل في العهد الرستمي، رسالة ماستر، كلية الآداب و اللغات، تلمسان، 2014/2013، ص 25/24.

يتبادل الأصدقاء الرسائل و يتطرقون فيه إلى الشوق و الإعتذار والتهنئة بالزواج والمولود الجديد والتعزية والشكر والدعوة إلى حضور المناسبات وغيرها " .[1]

ج-بنية الخواتم و النهايات:

خاتمة الرسالة هي آخر شيء فيها و يكون في الغالب " بلفظ السلام أو السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته، و تكون مسبوقة بالدعاء، كما تشتمل كثير من الرسائل التأريخ باليوم و الشهر و السنة كعلامة على انتهاء الرسالة إن كانت بعض الرسائل تؤرخ في البداية و يتم التأريخ بما مضى من الشهر باعتباره معلوما و يشترط في الاختتام ما يشترط في الابتداء من جودة و حسن لأنه آخر ما يتبقى في الأسماع على أن هذه العناصر البانية للهيكل العام للرسائل غير ثابتة و مستقرة، فقد يخرج الكتاب عنها في بعض الحالات " .[2]

5 – أغراضه عند الشّيخ أحمد التجّاني :

اهتم الشّيخ أحمد التجّاني كثيرا بالرسائل، و اعتمد عليها بشكل كبير في اتصاله بالأشخاص الذين يراسلهم، كل حسب مقامه و مكانته، فنجد منهم الفقهاء و الطلبة و الأمراء و التجار و الأصدقاء و غيرهم، و كذلك حسب المناسبة لكنها تختلف من حيث الغرض و المضمون بطرح موضوعات جديدة، ورسائله كانت تندرج ضمن الرسائل الإخوانية، وتناوَل في رسائله قضايا عامّة وخاصّة تهم الفرد والمجتمع والدّولة، واختلفت بذلك أبعادها ومراميها، فكانت له رسائل ذات بعد تعليمي وأخرى ذات بعد اجتماعي وسياسي و اقتصادي و تربوي.

و الآن سوف نقدم صورة موجزة عن بعض أغراض الرسائل عند الشيخ أحمد التجّاني:

[1] المرجع نفسه: ص 25.

[2] المرجع نفسه: ص ن .

أ- رسائل ذات غرض تربوي : إن أول ما اهتم به الشيخ بتوجيه مريديه إلى طريق الحق هو التربية، فالتربية تبدأ أولا لأنها أساس كل شيء، فهي تهذب النفس و ترقيتها و منه فقد " ضمنها كل الرّسائل التي تُعنَى بتربية العبد تربية روحيّة، وتهذيب النّفس البشرية وتصفيتها من كل شهواتها ورعوناتها للوصول بها إلى أعلى مقامات الدّين ألا وهو مقام الإحسان. ومن أمثلة هذه الرسائل رسالة بعث بها الشيخ أحمد التجاني إلى بعض فقهاء زاوية زرهون، ومما جاء فيها :‹‹... وأما ما ذكرت من صعوبة انقياد نفسك عليك لأمر الله (...) إلى مطابقة أمر الله و إلا فلا››.[1] و الشيخ في هذه الأمور دال ومعين ، لا خالق ولا فاعل ، إذ الخلق والفعل لله والدلالة والشيوخ والسلام . وصل الله على سيدنا محمد و آله وصحبه وسلم تسليما."[2]

ب – رسائل ذات غرض علمي تعليمي: إن من أكثر الأشياء التي أكد عليها الشيخ بالنسبة لمريديه هي التعلم و خاصة بالنسبة لتعلم الشريعة الإسلامية، فكلما ازداد الشخص علما و تعلما كلما كان أنفع لنفسه و للناس، " وتظم كل الرسائل التي تحوي علوما شتى تفيد العبد في دينه ودنياه، والعلوم الصوفية مدارها على أربعة أشياء: الله والنفس والدنيا و الشيطان. وهذه العلوم هي تؤدي إلى المعرفة، وقد عدّها المحاسبي وجعلها سبعة أنواع .

وقد تتضمن الرسالة الواحدة عند الشيخ أحمد التجاني الأربعة أشياء التي تدور عليها المعرفة الحقيقية ، كما قد تعالج الرسالة شيئا واحدا أو شيئين بحسب الغاية والقصد منها، نقتطف الجزء الذي يتعلق بمعرفة الله والذي يقول فيه :‹‹...والأمر الذي لابدّ منه بعد هذا ، وهو بداية جميع الأمور ونهايتها هو تعلق القلب بالله تعالى (...) وبإقراري بسريان قيّوميّتك في

[1] علي حرازم : جواهر المعاني و بلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس أحمد التجاني، تح محمد الراضي كنون، دار الرشاد، الدار البيضاء، المغرب،ط1، 1432هـ/2011م، ص784.

[2] أمينة تجاني: الحجاج في رسائل الشيخ أحمد التجاني، رسالة ماستر، إشراف: علي زيتونة مسعود، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، الجزائر، 2015/2014، ص 72.

كل شيء وعدم احتمال خروج شيء دق أو جل عن علمك وقهرك حتى لحظة سكوني ››[1] من رسالة بعث بها إلى الطلبة."[2]

ج – رسائل ذات غرض اجتماعي: إن السلوك الإنساني يهذَب بالتربية، و الإنسان ابن بيئته و ابن مجتمعه، و منه فقد اهتم الشيخ بالجانب الاجتماعي في رسائله، لأنها تحدث الألفة و التآخي بين الناس ، أي أنها" رسائل تتناول السبل والطرق التي تؤدي إلى مجتمع إسلامي متآلف ومتآزر متآخ ومحب لبعضه البعض ، بعيدا عن الفرقة والبغضاء والعداوة . وقد تكون الرسالة منفردة بهذا الموضوع، كما قد تكون هذه الموضوعات مبثوثة في رسالة تضم أبعادا أخرى، و احدى هذه الرسائل نأخذ مقتطفًا منها: ‹‹... وأوصي من كان مقدما على إعطاء الورد، أن يعفو للإخوان عن الزلل . وأن يبسط رداء عفوه على كل خلل ، .... وليكن سعيه في ذلك في مرضاة الله تعالى ، لا لحظ زائد على ذلك... ››[3] ففي هذه الرسالة يوجه كلامه لممثله (المقدم) محددا له وظيفته الاجتماعية التي يجب أن يسعى لأدائها ابتغاء مرضاة الله عز وجل."[4]

د – رسائل ذات غرض سياسي: لم يهمل الشيخ الجانب السياسي في رسائله، لأن السياسة جزء من منظومة الحياة، و أولى لها إهتماما كبيرا، خاصة أن ولاة الأمور هم من يسيرون بالرعية نحو الفلاح أو نحو الهاوية، و منه " فالرسائل التي توجه بها الشيخ إلى أصحاب الحكم والسلطة والسياسة (السلطان الأمير ...) يبين فيها العلاقة بين الحاكم و الشعب، أي طبيعة السلطة ، فهي بعيدة عن التسلط والظلم والقهر، وكذلك بعيدة عن عدم

[1] علي حرازم : المرجع نفسه، ص 761.

[2] أمينة تجاني: المرجع نفسه. ص 73.

[3] علي حرازم : المرجع نفسه، ص 756.

[4] أمينة تجاني: المرجع نفسه. ص 74.

المبالاة والإهمال والإعراض عن الخلق . إذن هي علاقة خدمة فرئيس القوم خادمهم ، والسلطان ظل الله في الأرض والنائب عنه في تسيير شؤون خلقه .

ومن أمثلة هذه الرسائل رسالة بعث بها إلى بعض الأمراء، ومما جاء فيها:‹‹... اعلم أن الله عز وجل قد ولاك أمر خلقه وائتمنك على بلاده وعباده ،... يقول صلى الله عليه وسلم (من ولاه الله ملكا فأتاه ذوو الحاجات فاحتجب عنهم، احتجب الله عن حاجته)...››[1]

فالشيخ هنا لم يمار الأمير ولم يداهنه في أعماله تجاه الخلق كما يفعل البعض ، كما أنه لم يعارضه ويصطدم معه حتى لا تكون الفتنة التي تؤدي إلى القتل كما هو حاصل اليوم في البلاد العربية ، بل كان الشيخ من دعاة السلام الذين يجابهون السلاطين باللين ويدافعون عن حقوق الضعفاء والمظلومين دون إفراط أو تفريط ، فهو هنا يمثل سلطة أعلى من سلطة الحاكم ، ألا وهي سلطة الدين، سلطة الله الباطنية التي يمثلها العلماء الربانيون الذي هم ورثة أنبياء الله عليهم السلام."[2]

هـ – رسائل ذات غرض اقتصادي: إن المعاملات و المبادلات في ظل الشريعة الإسلامية يجب ألا تحيد عنها، لكن الواقع مخالف بانتشار الرشوة و الربا و الاختلاس، و كذلك دفع الزكاة من عدمها، لذلك حرص الشيخ على توصية مريديه بالتزام الشرع في المعاملات، من ناحية مال يُنْتفع به فرديا، أو مال عام لصالح المجتمع، و لصالح إقتصاد البلاد، حيث "هي رسائل توجّه بها الشيخ أحمد التجاني إلى أرباب المال والتّجّار خاصة لعلمه بأهمية التجارة في حياة الأفراد والدول ، لأنها مصدر مالي دائم بدوام الإنسان ومغاير لبقية المصادر المالية الأخرى ، فمثلا البترول مصدر مالي بالنسبة للدولة التي تصدره ولكنه

[1] علي حرازم: المرجع نفسه، ص 789–799.

[2] أمينة تجاني: المرجع نفسه، ص 75–76.

غير دائم ، فسوف ينفد يوما ما . والدول التي تعتمد عليه في اقتصادها سوف يصيبها العجز المالي بنفاذه وتتدهور أحواله المعيشية .

ولهذا فإن هذه الرسائل تنبيه للمسلم على أهمية التجارة وتوجيهه للاعتناء بها ، وما اهتمام الدول الغربية بالتجارة والأسواق العالمية إلا دليل على صدق رؤية الشيخ ونظرته الثاقبة وحكمته واستبصاره للأمور .

ومن هذه الرسائل رسالة اقتطفنا منها هذا الجزء للتوضيح :«... والنهي عن إضاعة المال ولزوم حفظه ... وعلى قدر ما يدخل يدك من التجارة والأسباب في كل وقت ...»[1] و هذه الرسالة بعث بها إلى أحد التجار وهي مذكورة بالكامل في جواهر المعاني.[2]

إن الشيخ في رسائله هذه لم يهتم بجانب واحد و أهمل الجانب آخر على العكس من ذلك، فالشيخ هنا اهتم بالسلوك العام للحياة في ظل تربية روحية خالصة، فهو لم يفصلهما بل جعل كل جزء مكمل للآخر و بهما معا تستوى الحياة، و الشيخ هنا بوصاياه و إرشاداته أراد الوصول إلى فكرة" إحياء الدين في النفوس و إصلاح معايب المجتمع، في صورة تركز على البعد الروحاني و التربوي و الأخلاقي للإنسان، دون أي إهمال لأبعاده الأخرى."[3]

[1] علي حرازم: جواهر المعاني، ص 788.

[2] أمينة تجاني: المرجع نفسه. ص 77.

[3] أحمد حطيط: الخطاب الصوفي و العولمة، مفهومان متنافران، مجلة الخطاب الصوفي، ع2، ص 165.

المبحث الثاني: ماهية التصوف:

تعددت و اختلفت تعريفات التصوف من الناحيتين اللغوية و الاصطلاحية، فمنذ ظهوره كفكرة أو كمصطلح قائم بذاته لم يُتَفَق له على مفهوم موحد، فنُسِبَتْ تسمياته كل حسب فكره و حسب توجهه، و حسب ما تداوله أصحابه. و من هنا سنعرج على بعض تعريفاته المختلفة:

1. تعريف التصوف:

أ- التصـوف لغة:

اختلف العلماء في أصل كلمة التصوف من حيث ضبط مفهومه اللغوي سواءً كان من ناحية المصدر أو من ناحية اشتقاقه، و من هنا تعددت التعاريف الضابطة له خاصة أنه علم يحوي علوم أخرى في طياته. و من هنا نسلط الضوء على بعض مفاهيمه:

هو من جذر كلمة صوف (ص .و. ف)، و هذا ما ورد في معجم لسان العرب لابن منظور حيث يقول:" الصوف للضأن وما أشبهه".[1]

و لقد ورد مفهومه في قاموس المحيط : " صاف الكبش صوفا و صووفا ؛ فهو صافٌ و صافٍ و أصوف و صائف و صوف كفُرِحَ ، فهو صوفٌ ، ككتف ، وصوفاني بالضم هي بهاء ، إذ كثر صوفه".[2]

وتطلق كلمة صوف في بعض دلالات استعماله بمعنى الميل و العدول ، ويقال : صاف السهم عن الهدف ، بمعنى مال عنه ، كما يقال أيضا : صاف الشر إذا عدل عنه".[3]

---

[1] ابن منظور :لسان العرب،دار صادر ، بيروت ،لبنان ،مج 9 ،مادة (ص ف.و.) ، ص 199 .

[2] الفيروز آبادي : القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ، ط 8 ،2005 ، ص 829 .

[3] صابر طعيمة : الصوفية ، كلية أصول الدين ، الرياض ، السعودية ، ط 1،1985 ، ص 19.

كما وردت الصوفية في كتاب أساس البلاغة للزمخشري : " نسبوا إليهم تشبيها بهم في النُسك والتعبد أو إلى أهل الصُفة ، فقيل مكان الصوفية بقلب أحد الفاءين و اللتحيف أو إلى الصوف الذي هو لباس العباد و أهل الصوامع".[1]

ويرى صاحب المصباح المنير أن كلمة صوفية " (الصوف) للضأن و الصوفة أخص منه، و كبش أصوف وصائف كثير الصوف، و تصّوف الرجل و هو صوفّي من قوم صوفية، كلمة مولدة، و صاف السهم عن الهدف، يصوف و يصيف عدل ".[2]

ذهب الكلاباذي إلى أن أصل الصوفية ينتسبون إلى الصفاء وأنهم سموا صوفية لصفاء أسرارهم وشرح صدورهم وضياء قلوبهم ".[3]

و على نحو أخر يرى أبو "القاسم القشيري" أن البحث في الأصل اللغوي أمر لا طائل من ورائه، إذ يرى أن الصوفية غير مختصين بلبس الصوف، فلا يشهد له قياس ولا اشتقاق بل ينتسبون إلى أشرف صفة بعد تبعية الصحابة وهي "الصفو" . "[4]

و نجد هنا أن المفاهيم تعددت و تنوعت فالبعض اهتم في مسنده على الشكل الخارجي للإنسان خاصة من حيث الملبس ، و البعض الآخر اهتم بالمضامين ، و كل هذا يزيد من صعوبة ضبط ولو مفهوم عام شامل لكلمة التصوف، أو ضبط مصدره على الأقل، خاصة في الاختلاف الحاصل في الكلمة في حد ذاتها، من صوفي أو صُفّي أو غيرها .

---

[1] أبو القاسم جار الله بن أحمد الزمخشري ، أساس البلاغة ، تح محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان ، ط 1 ،ج 1 ،1998 ، ص 564 .

[2] أحمد بن علي الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مكتبة لبنان، لبنان، مج1، 1987، دط، ص 134.

[3] محمد الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1933، ص5.

[4] عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، تحقيق: معروف زريق وعلي أبو الخير,، دار الجيل، للطباعة و النشر، دمشق ، 1995، ص 55 .

ب- التصوف اصطلاحا :

أصل التصوف ليس عربيًا خالصًا فهو مصطلح ممزوج بكثير من الحضارات في مفهومه و فكره ومنهجه، و لا يقتصر الأمر على هذا فحسب، بل كذلك اصطدم المفهوم من حيث فكرة تصنيفه: هل يصنف في الشريعة أم في الأدب ؟

يعتبر مفهوم التصوف من بين المفاهيم التي تعددت و تنوعت خاصة بأنه مفهوم مرتبط بمجالين هما اللغة و الدين، و دليل ذلك قول الشيخ زروق: "وقد حُدَّ التصوف ورُسم وفُسِّر بوجوه تبلغ الألفين مرجعها كله لصدق التوجه إلى الله تعالى، وإنما هي وجوه فيه والله أعلم".[1]

يعرّفهُ الجنيد –سيد الطائفة– :"أن تكون مع الله بلا علاقة".[2] وقال الجنيد أيضاً: "التصوف هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به".[3] ويقول الجنيد رحمه الله: "التصوف هو الخُلُق. فمن زاد عليك في الخُلُق فقد زاد عليك بالتصوف".[4] و هنا يرى الجنيد بأن التصوف أن تسلم أمرك لله دونما سواه، و على أي حال كان، و كذلك أن ترتقي في الأخلاق كي ترتقي في المقامات، و تتميز بذلك عن غيرك.

أمّا رُويم بن أحمد فقد قال: "استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريده".[5] وأبو سليمان الداراني يقول فيه: "أن تجري على الصّوفي أعمال لا يعلمها إلاّ الحق وأن يكون دائماً مع الحق على حال لا يعلمها إلاّ هو".[6]

---

[1] أحمد زروق – قواعد التصوف– تح: عبد المجيد خيّالي. دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط2 2005 ، ص21.

[2] الطوسي – اللمع– تح : ع الحليم محمود. طه عبد الباقي سرور. دار الكتب الحديثة ، مصر،1960 ص45.

[3] فيصل بدير عون :التصوف الإسلامي الطريق والرجال ، مكتبة سعيد رأفت جامعة عين شمس،مصر، 1983،ص 18.

[4] الجامي: نفحات الأنس، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت، ج1، ص442.

[5] المرجع نفسه: ص ن .

[6] فيصل بديرعون: التصوف الإسلامي الطريق والرجال، مكتبة سعيد رأفت جامعة عين شمس، مصر، ط1، 1983، ص 18.

أما فيما يخص تعريف السّري السّقطي –رحمه الله– : "التصوف اسم لثلاث معانٍ : هو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه، ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب والسُّنة، ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله ".[1] إن هذا التعريف جمع بين المعرفة و الشريعة و الكرامة، أي أنه كلما ازداد الصوفي معرفة و علما، كلما ازداد ورعا و يقينًا، ثانيا أن لا تحتكم لأي مسألة شرعية بعيدًا عن الكتاب و السنة، و أن الصوفي إذا أكرم عليه الخالق بكراماته عليه، عليه أن يحمده و يشكره عليها، و ألا يُجريها مجاري تخالف أمر الله .

و يقول الشعراني: "هو علم انقدح في قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسُّنة، والتصوف إنما هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة ".[2]

ويقول الشيخ زروق في هذا المضمار : "فلا تصوف إلاّ بفقه إذْ لا تُعرف أحكام الله الظاهرة إلاّ منه، ولا فقه إلاّ بتصوف إذْ لا عمل إلاّ بصدق وتوجه ولا هما إلاّ بإيمان "[3]

و يقول ابن خلدون: "هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملّة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصَّحابة والتابعين من بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عامًّا في الصحابة والسلف ."[4]

وقال فضيلة الدّكتور المرحوم محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله تعالى، في كتابه (هذا والدي):" كان أبي رحمه الله يجزم بأن التّصوف النقي هو جوهر الإسلام ولبابه وكان يؤكّد أنّ المسلم إذا لم يكن قد تشرب حقيقة التّصوف فقد حبس نفسه في معاني

[1] الشعراني – الطبقات الكبرى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ج1،د ط ، 2005، ص12.

[2] المرجع نفسه ص.19.

[3] أحمد زروق الفاسي – قواعد التصوف. ص 22.

[4] ابن خلدون – المقدمة – دار المصحف القاهرة مصر .دت– ص33.

الإسلام ولم يرق صعداً إلى حقيقة الإيمان. وقال: التّصوف الحقيقي لا يمكن إلاّ أن يكون مأخوذاً من كتاب الله وسنّة رسوله ، ذلك لأنّ السعي إلى الوصول إلى ثمرات الإيمان بالله في القلب واجب، رسمه القرآن وأكّدته السنّة ولم يكن رحمه الله يقيم وزناً للتصوف ما لم ينهض على أساس من العلم السّليم بكتاب الله وسنة رسوله ، وكان يرى أنّ صدق الانفعال بثمرات الإيمان التي هي حقيقة التّصوف ولبّه لا يأتي إلاّ من سعة العلم بالله عزّ وجلّ وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبالشرائع والأحكام التي خاطب الله بها عباده."[1]

ارتبط مفهوم التصوف بالشريعة الإسلامية في قول هؤلاء العلماء ، فهو ركيزته و أساسه و خاصة أن مفهوم التصوف مقترن بمفهوم الاحسان في الشريعة الإسلامية و هو الرقي الحقيقي بالذات نحو عالم روحاني يعيش المتصوف لذته دون الآخر كلٌّ حسب حالته و حسب مقامه .

قال الشيخ عدنان إبراهيم حقي رحمه الله تعالى وطيّب الله ثراه:" التّصوف مذهب إسلامي أخلاقي اجتماعي نفسي له أسلوبه وطريقته وبراهينه وأدلّته ورجاله ، وأصله سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته والتّابعين لهم بإحسان ، وهو طريق الحق والهداية والعكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدّنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه النّاس من لذّة ومال وجاه، وهو لبُّ الإسلام وروحه . ويقول القرآن الكريم عنهم : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: 26]

ويقول: ﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [لقمان: 22]
والمتصوفون يحققون في أنفسهم صفات الإخلاص والمراقبة لله عز وجل وليس لقلة

[1] د. محمد سعيد رمضان البوطي : هذا والدي ، دار الفكر ، دمشق ، 2009 ، ص 106.

وإنّما هو أذواق ووجدان وهو مستمدّ من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه و آله وسلم وسير التّابعين وتابعيهم ".[1]

يقول عبد الرحمن بدوي: "التصوف جانب من أخصب جوانب الحياة الروحية في الإسلام لأنه تعميق لمعاني العقيدة، واستبطان لظواهر الشريعة، وتأمل لأحوال الإنسان في الدنيا وتأويل للرموز والشعائر يهبها قيما موغلة في الأسرار وانتصار للروح . "[2]

و يقول ابن سينا : " إن الزاهد هو المعرض عن متاع الدنيا و طيباتها والعابد هو المواظب على القيام بالعبادات من صلاة وصيام وقيام وغيرها، أما العارف، فهو ذلك الإنسان المنصرف بفكره إلى الله مستديما لشروق نور الحق في سره."[3] و النتيجة التي توصل إليها ابن سينا هي اجتماع الزهد والعبادة في التصوف وليس وجود التصوف في الزهد أو العبادة وحدهما، فكل صوفي زاهد وعابد، وليس كل زاهد أو عابد صوفي.

وبما أن الفكر الصوفي جاء من بذرة من بذرات الزهد، لكن التصوف برز بقوة و تطور بسرعة مقارنة بالزهد، فالصوفي رغم زهده في الدنيا إلا أنه لا يطلقها عكس الزاهد.

و من هنا نجد كما أسلفنا سابقا أن التصوف لا يرتكز على فكر معين أو مجال محدد حتى نستطيع ضبط مفهومه، خاصة و أننا لم نتطرق إلا لمفاهيم قليلة له في دراستنا هذه لأن موضوع التصوف واسع و متشعب جداً.

أما فيما يخص تعريف الشيخ أحمد التجاني للتصوف فيقول:" اعلم أن التصوف هو امتثال الأمر و اجتناب النهي في الظاهر و الباطن، من حيث يرضى لا من حيث ترضى".[4] أي أن التصوف هو تطبيق الشريعة الإسلامية كما جاء في النصوص الشرعية (الكتاب و

---

[1] الشيخ عدنان إبراهيم حقي : الصوفية و التصوف ، دار الفكر ، دمشق ، 2010 ، ص 162.

[2] محمد عبد الهادي أبو ريدة، "الأساس المشترك الاتجاهات"، ملتقى الفكر الإسلامي، الجزائر، 1987 ، ص 11.

[3] محمد كمال جعفر، التصوف طريقا وتجربة ومذهبا، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1980، ص 06.

[4] أحمد سكيرج: الكوكب الوهاج لتوضيح المنهاج، دار التجاني، تغزوت، الوادي، الجزائر، ط1، 2009، ص23.

السنة)، سرًا و علانية، أي أن تستحي من الله حق استحيائه، و أن تتجنب فعل المنكرات أمام الله عز و جل و أمام الناس، و كل هذا لإرضاء الخالق تعالى، لا لإرضاء النفس، لأنه إن رضيَّ الله عنك فزت الفوز العظيم في الدارين، و حزت الإطمئنان القلبي.

2- أصل التسمية :

بتعدد التعاريف تعددت التسميات فكل واحد منهم تطرق إليه من حي توجهه و فكره الخاص به ، أو مما روى عن القدامى و السابقين ، و هذه أقوال بعضهم عن سبب للتسمية الأصلية للتصوف :

يقول السهروردي:" فالقول بأنّهم سموا صوفيّة للبسهم الصوف أليق وأقرب إلى التواضع ، وأقرب أن يقال لما آثروا الذبول والخمول والتّواضع و الانكسار والتّخفّي والتّواري ،كانوا كالخرقة الملقاة والصوفة المرميّة التي لا يرغب فيها ولا يلتفت إليها فيقال صوفي .... ولم يزل لبس الصّوف اختيار الصّالحين والزّهاد والمتقشفين و العبّاد."[1]

و التصوف مأخوذ من "صوفة" و يرى ابن الجوزي أول من انفرد بالزهد، وخدمة الله عند بيته الحرام رجل يقال له صوفة واسمه" الغوث بن مر"، فانتسبوا إليه لمشابهتهم إياه في الانقطاع إلى الله فسموا بالصوفية، وقال إنما سمي الغوث بن مر" صوفة " لأنه ما كان يعيش لأمه ولد، فنذرت لئن عاش لنعلقن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة ففعلت فقيل له – صوفة – ولولده من بعده".[2]

أمّا الطوسي فقد طرح سؤالاً وأجاب عليه: نُسب الفقهاء إلى الفقه والمحدثون إلى الحديث و... أمّا الصّوفية لم ينسبوا إلى حال ولا إلى علم. لماذا؟ وأجاب : "لأن الصّوفية لم ينفردوا بنوع من العلم دون نوع، ولم يترسموا برسم من الأحوال والمقامات دون رسم، وذلك لأنهم

[1] السهروردي :عوارف و معارف، مطبوع على هامش"إحياء عوم الدين للغزالي " ، ج1،عالم الكتب، دمشق،دط، ص295.

[2] أبي الفرج عبد الرحمان بن الجوزي، تلبيس ابليس، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2001، ص146.

معدن جميع العلوم، ومحل جميع الأحوال المحمودة،... نسبتهم إلى ظاهر اللبسة، لأن لبسة الصّوف دأب الأنبياء عليهم السَّلام وشعار الأولياء والأصفياء... ألا ترى أن الله تعالى ذكر طائفة من خواص أصحاب عيسى عليه السّلام فنسبهم إلى ظاهر اللبسة فقال عز وجل {وإذ قال الحواريون } وكانوا قوماً يلبسون البياض. "[1].

أمّا الإمام القشيري فقد رفض كل الاجتهادات والتأويلات وقال بأنه ليس يشهد لهذا الإسم من حيث العربية قياسًا أو اشتقاقًا، وفي رأيه أن هذا اللفظ بمثابة (لقب) فحسب اختصت به جماعة معينة. وأمّا ردّ الصوفيّ إلى الصّوف فلم يختص القوم بلبس الصّوف. والنسبة إلى الصّفة أو الصفاء أو الصف لا تكون على هذا النحو. إذن أصل الكلمة غير معروف".[2]

إن رأي القشيري هو الأرجح، لأن رغم تعدد ما نسب لهم من ألقاب، فلا نجد أي لقب يشملهم جميعًا، و لم يظهر أساس صحيح لها، لأن الصوف لم يختص به إلا المتصوفة، و ربما الاسم الأقرب هو صفوة من الناس متميزين عن غيرهم، و برزوا بصفة مخالفة عن الآخرين، وأنا أدعم هذا الرأي. يقول أبو القاسم القشيري أحد كبار الصوفية في مفهوم التصوف: " يقال: رجل صوفي، وللجماعة صوفية، ومن يتوصل لذلك يُقال لهُ: متصوف، وللجماعة المتصوفة، وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العَربية قياس ولا اشتقاق، والأظهر فيه أنه كَاللَّقب. فأمَّا قولُ من قَالَ: إنه من الصوف، لهذا يقال تصوف، إذا لبس الصوف، كما يقال تقمَّصَ، إذا لبس القميصَ، فذلك وجهٌ، ولكنَّ القومَ لم يختصوا بلبس الصوف! ومن قَال إنَّه مشتَق من الصفاء، وَمن قَال إنَّهُم مَنسُوبون إلى صُفَّةِ مسْجِد رَسُول الله صلى الله عليه وسلم، فالنِّسبة إلى الصُّفَّة لا تجَيء عَلى نحو الصّوفي، ومَن قَال إنَّه مُشتق من الصَّفاء، فاشتقاق الصُّوفي مِنَ الصَّفَاء، بَعِيدٌ في مقتضى اللغة".[3]

---

[1] أبو نصر السِّراج الطوسي – اللّمع – تح : ع الحليم محمود. و طه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر، ط 1960 ، ص 40,41.

[2] القشيري – الرسالة القشيرية. ص 126.

[3] القشيري: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن :الرسالة القشيرية ، دار الكتب العلمية،ط1/ 1990ص312 .

حسب رأي القشيري أنه لا اشتقاق لهذا الاسم في اللغة العربية، بل هو مجرد لقب نسبوه إليهم من عدة أوجه، و اعتبر أن الصوفية هم جماعة ظاهرة للعيان بتوجههم و منهجهم، و لا يمكن حصرهم في فئة أو مفهوم واحد، فمثلا ليس كل من لبس الصوف فهو صوفي، أو أن كل من لم يرتد الصوف فهو ليس كذلك، فهم فئة أكبر من أن تحصر في فئة أو لغة.

3- نشأة التصوف الإسلامي:

التصوف كفكرة نشأ مع الإنسان، فمنذ البدء نجده يتطلع إلى معرفة الغيب، و بدأ يتأمل في سيرورة الكون، و أنّه لابد من وجود يد خفية تحركه، و كذلك توجه إلى استشراف عالم ما وارء الطبيعة و إلى الرغبة في الاتصال بهذا العالم عن طريق الوسيلة الصحيحة لهذا الاتصال .

كذلك التصوف الإسلامي جاء كفكرة مرتبطة بالدين مع عهد رسول الله صلى الله عليه و عهد الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، فالدين الإسلامي أساسه الإسلام و الإيمان و الإحسان، فمرتبة الإحسان هي أعلى المراتب و هي المرتبة ارتبطت ارتباطا وثيقا بالتصوف، فالاختلاف الحاصل هو استحداث المصطلح لا فكرته، و من هنا يقول العلاّمة ابن خلدون عن التصوف:" هذا العلم من علوم الشريعة الحادثة في الملّة، و أصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة و كبارها من الصحابة و التابعين، و من بعدهم طريقة الحق و الهداية، و أصلها العكوف على العبادة و الانقطاع إلى الله تعالى (...) و كان ذلك عامًا في الصحابة و السلف، فلما فشى الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختصّ المقبلون على العبادة بِاسم الصّوفية و المتصوفة ".[1] و نجد أن أول من أدركوا مقام الإحسان هم الصحابة عليهم الرضوان، و إلى هذا المقام كان يدعوهم سيد الخلق و يدعونا جميعا نبيبا محمد عليه أفضل الصلوات و أزكى التسليم إلى الارتقاء

[1] عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، ص 504 .

في المقامات و تهذيب السلوك، و أن يكون كل مسلم على أخلاق حميدة على ضوء الشريعة.

ذكر الباحث إحسان إلهي ظهير في كتابه "التصوف المنشأ والمصادر"، الذي يرى أن سبب نشوء التصوف كان "ردّة فعل من نفوس المغلوبين المقهورين من الفرس والموالي وأصحاب النفوس الضعيفة تجاه الفتوحات الإسلامية. فهربوا عن الحياة ومناضلتها وجدِّها وكدّها ولجؤوا إلى الخانقاوات والتكايا والزوايا فراراً من المبارزة والمناضلة، وصبغوا هذا الفرار بصبغة دينية "[1].

أما رأي الدكتور سفيان زدادقة فيرى أن التصوف : "سمة منتشرة في كلّ دين إلاّ أنه يتلون بلون الدِّين الذي نتج منه والمشترك الذي يمكن أن تتقاطع فيه كلّ التصوفات هو: الذهاب إلى أقصى ممكنات الدّين والوصول إلى أقاصي الرّوح، وعليه فإن القول بأن التصوف في الإسلام هو ردّ فعل على الرّفاه والغنى والمتعة التي اِنتشرت في أواخر القرن الأول وطوال القرن الثاني للهجرة إنما هو تسطيح للمسألة و أدلجة لها"[2].

أمَّا عن المراحل التي مرَّ بها التصوف، فذهب أحد الباحثين إلى حد القول أن التصوف يختلف عن بقية العلوم في مراحل تطوره، و ذلك أنه لم يعرف نهائيا بهذا الاسم و بهذا العلم في القرن الأول الهجري، بل عُرف باسم الزهد و العبادة في القرن الثاني و الثالث الهجري ، و أخذ حدوده و أبعاده في نهاية القرن الثالث ، و ظهر فيه التطرف و الإفراط بعد ذلك و

[1] إحسان إلهي ظهير: التصوف المنشأ و المصادر، إدارة ترجمان السنة ، باكستان، ط1، 1986، ص44 –45.

[2] سفيان زدادقة: الحقيقة والسراب ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ط1 ، 2008، ص 55.

دخل حيز الفلسفة ، ثم بدأ يتراجع و يقترن بالأخلاق و التربية في عصرنا الحاضر . "[1]

و لتفصيل تطور هذا العلم إليك هذه النقاط الموجزة : "[2]

1-لم يُعرف علم التصّوف في العهد النبوي كمصطلح ، و لا في العهد الراشدي ، ولا في العصر الأموي ، ولا في مطلع الخلافة العباسية .

2-بدأت معالمه في النصف الثاني الهجري ، و أول من سمي بالصوفي " أبو هاشم الصوفي" المتوفي سنة [150 هـ] .

3-كان الزهد البذرة الأولى للتصوف، و ظهر الزهد منذ مطلع القرن الثاني الهجري، و صنف فيه كبار العلماء ، و عدّ المتصوفة هذه الكتب أصولا و منطلقات لهم .

4-يعد الحسن البصري [110هـ] أهم رواد المتصوفة ، كما تعتبر كتبه من أوائل المصنفات التي تتضمن عبارات كثيرة و صيغا متعددة تحث على الزهد .

5-في هذه الفترة ظهر كبار الزهاد منهم : محمد بن سيرين [110هـ]، و أبو حازم سلمه بن دينار المخزومي [140هـ] ، سابق بن عبد الله البربري و عبد الله بن المبارك [181هـ] ، و المعافى بن عمران [185هـ]، و الفضيل بن عياض [187هـ]، و معروف الكرخي [200هـ]،و بشر بن الحارث الحافي [227هـ]، و الحارث بن أسد المحاسبي [249هـ]، و أبو زيد البسطامي [261هـ]، و أبو بكر الوراق [280هـ] ، و أبو القاسم الجنيد [298هـ] و غيرهم .

6- و في القرن الثالث و القرن الرابع الهجري تزاوجت العلوم الإسلامية بالثقافات الأجنبية (...)، و تأثر بعض الناس بالفلسفات المتعددة و الأفكار الدينية الأخرى و خاصة تعاليم

[1] ينظر: محمد الزحيلي: تعريف عام بالعلوم الشرعية، دار الكوثر للنشر و التوزيع،الجزائر ، دط، دت، ص 192.

[2] العيد علاوي : التصوف من اشكالية الفهم إلى تيه الممارسة ، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة و الأدب العربي – جامعة محمد خيضر– بسكرة الجزائر ، العدد 08 ، 2012 ، ص 134 .

الإشراقيين ، و تسربت كثير من الاصطلاحات : كتب حكمة الإشراق إلى الزهاد ، و دخلت كتب الزهد و التصوف ، و صدرت عن لسان عدد منهم كالحلاج ...

4- **أنــواع التصــوف :** و تنقسم إلى ثلاثة أنواع :

أ – **التصوف السني :** تميز التصوف السُّني خلال القرنين الأولين للهجرة عند المسلمين بمظاهر الالتزام بأوامر الله ونواهيه، والاقتداء بحياة النبي صلى الله عليه وسلم وما تنطوي عليه من عبادة وزهد في الدنيا والإعراض عن مباهجها، والإقبال على التوبة وتجنب المعاصي، ومنه تلخصت وجهتهم الصوفية في مظهرين:

–مظهر ظاهري: يتمثل في ترك مظاهر الدنيا من مال وجاه وعيشة رغدة.

–مظهر باطني: يتمثل في مراقبة أفعال القلب الذي هو مصدر الأفعال ومبدؤها، وغرضها النجاة من عقاب الله، وقد أطلق على هذه المرحلة من التصوف اسم مجاهدة التقوى ثم تطور التصوف السُّني خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين(9 و 10م) فأصبح منتحلوه يهدفون إلى الوصول إلى نفس لا يصدر عنها سوى أفعال الخير، مؤدبة بآداب القرآن والسنة النبوية، ثم أصبح خلال القرن الخامس الهجري ينزع إلى التكشف عن عالم الغيب. "[1]

ب – **التصوف الفلسفي :** نشأ عن اهتمام الصوفية بعلوم المكاشفة التماسا لمعرفة الله واكتسابًا لعلومه والوقوف على حكمته وأسراره واطلاعًا على حقائق الموجودات، "فظهرت منذ القرن (3هـ) عدة نظريات صوفية فلسفية متباينة في كيفية الوصول إلى الأهداف، فكان ذو النون المصري أول من أدخل مدرك العرفانية في التصوف الإسلامي، أي معرفة الله بكل ما في النفس من حدس وعاطفة وخيال، وعن طريق الفناء توصل بعض الصوفية إلى القول بنظرية الحلول والاتحاد التي تزعمها

[1] الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و 7هـ /12 و13م (نشأته – تياراته – دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة ،الجزائر ،2004 ، ص 38–39 .

الحسين بن المنصور الحلاج أي حلول الذات الإلهية في المخلوقات، إلا أنها لقيت معارضة من بعض المتصوفة والفلاسفة ".[1]

ج – تصوف الطرق الصوفية: و يعتبر هذا النوع آخر الأنواع ظهورًا، و هذا النوع مرتبط بمجموعة يحكمها شيخ هو قدوتهم و مرجعهم، و منه فهي" مدارس دينية في التزكية والتربية متفرعة من بعضها ومرتبطة بواسطة السند المتصل، وجميعها تتبنى عقيدة أهل السنة والجماعة من الأشاعرة و الماتريدية، وبعض من أهل الحديث وتتبع أحد المذاهب الأربعة والاختلاف بينها إنما هو في طريقة التربية والسلوك إلى الله. و الطريقة عند السالكين هي السيرة المختصة بهم إلى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات".[2] أما الطريقة تعني" شيخ له منهج تعبدي في أوقات محددة ، يلتف حوله المريدون كما أشار إلى هذا السلمي".[3] **و** تحتفظ بنظام خاص وأذكار خاصة هي الأوراد، ويجمعها اسم معلوم مرتبط باسم مؤسسها، ويرجح المؤرخون أنها ظهرت حوالي القرن السادس الهجري، في الحقبة المضطربة من تاريخ الإسلام. أما عند الصوفية هي "عبارة عن مذهب أو ملة دينية، يسير عليها المؤمنون وفق منهاج شرعي، وهي عبارة عن مراسم الله تعالى وأحكامه التكليفية المشروعة التي لا رخصة فيها ... وهي السيرة المختصة بالصوفية إلى الله تعالى فهي سفر إلى الله تعالى، والسالك إلى الله تعالى، أن يسلك طريق القوم وأن يجتازهم مرحلة بعد مرحلة".[54]

---

[1] مريم شاوش اخوان : الطريقة التجانية و موقفها من مقاومة الامير عبد القادر ، مذكرة ماستر(تاريخ) ، كلية العلوم الانسانية ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر ، 2015/2014 ، ص 13 .

[2] ويكيبيديا: الموسوعة الحرة,www.wikipedia.com ، السبت 2019/06/01، 15:10.

[3] ينظر: أبو عبد الرحمان السلمي: رسالة في بيان أحوال الصوفية ،الناشر للطباعة ،1999، ص366.

[4] إسماعيل حنفوق: دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس(1844–1931)، مذكرة ماجستير، تخصص تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، قسم التاريخ و علم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010–2011، ص 15.

و من هنا نستنتج بعض خصائص التصوف الطرقي:

- عقيدتهم عقيدة أهل السنة و الجماعة من الأشاعرة و الماتريدية.
- لكل طريقة ورد خاص من الذكر، يلتزم به المريدون في وقت محدد.
- كل الطرق هدفها الأسمى هو التقرب من الله تعالى، و الارتقاء في المقامات، للوصول إلى أعلى الدرجات.
- لكل طريقة شيخ خاص يحكمها، و يكون هو القدوة لمريديه و المرجع الأساسي لهم.
- يكون هذا النوع من التصوف مقترن بجماعة أصحاب توجه واحد و فكر واحد، عكس النوعين الآخرين يكون فرديًا.

الفصل الثاني

الفصــل الثاني : مضامين التصوف في رسائل الشيخ أحمد التجاني:

المبحث الأول: مضامين التصوف الكبرى.

1- الحب الإلهـــي.

2- النور المحمدي.

3- الأحوال و المقامات:

أ- التوبــة

ب- الصبر

ج- الزهـد

د- التوكل

هـ- الرضـا

4- الحقيقة و الشريعة .

5- الكشف و المشاهدة و الفتح.

المبحث الثاني: الولاية و مضامين الأخلاق.

1- الـولايـــة

2- الأخـلاق و التزكيـة:

أ- الذكر

ب – التقوى

ج- العفو

المبحث الأول: مضامين التصوف الكبرى.

1- الحـــب الإلـهـــي :

يعتبر مصطلح الحب الإلهي من أكثر المصطلحات شيوعًا عند الصوفية، و هي من أهم الركائز التي يعتمد عليها فكرهم و توجههم الروحي و الأخلاقي منه:" نشأ مصطلح" **الحب الإلهي** "بمعناه القريب في الحياة الروحية في الإسلام في القرن الثاني الهجري . و كانت الحياة قبل ذلك يحركها عامل" الخوف "من الله ومن عقابه، وكان" الحسن البصري-21 (110هـ) أبرز ممثلي هذا الطور في حياة الزهاد والعباد الأوائل، فقد عرف عنه أنه كان يبكي من خوف الله حتى قيل "كأن النار لم تخلق إلا له". ويميل مؤرخو التصوف الإسلامي إلى القول بأن رابعة العدوية(ت 185هـ) هي أول من أخرجت التصوف من الخضوع لعامل "الخوف" إلى الخضوع لعامل "الحب "، وأنها أول من استخدم لفظ "الحب " استخداما صريحا في مناجاتها وأقوالها المنثورة والمنظومة، وعلى يديها ظهرت نظرية "العبادة" من أجل محبة الله ، لا من أجل الخوف من النار أو الطمع في الجنة."[1]

عند ظهور هذا المصطلح مرتبطًا برابعة العدوية سئلت عن حقيقة ما وصلت إليه قالت : " ما عبدته خوفا من ناره، و لا حباً لجنته، فأكون كالأجير السّوء إن خاف العمل، بل عبدته حُبًّا له، و شوقًا إليه."[2] و مما أنشدته في ذلك قصيدتها المشهورة :

" أحبك حبين: حبَّ الهـوى وحبًّا لأنك أهـل لذاكـــا
فأما الذي هو حبّ الهوى فِذكرٌ شُغِلت به عمن سواكـــا

[1] ويكيبيديا : الموسوعة الحرة,www.wikipedia.com ، الاثنين 2019/05/27، 12:36.

[2] علي سامي النشّار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: الزهد و التصوف في القرنين الأول و الثاني الهجريين، ج 3، دار المعارف، مصر، ط 1، ص 94.

و أما الذي أنت أهلٌ لـه فكشفُك الحُجب حتى أراكا
فما الحمدُ في ذا ولا ذاك لي و لكن لك الحمد في ذا وذاكا"[1]

إن الحب الإلهي عند رابعة العدوية متعال عن كل محبوب، و لم يكن حبها خوفا و لا رهبة من الله تعالى، بل حبا لذاته العلية المنزهة عن كل مطمع أو رغبة . "ومع تجربة الحلاج الصوفية في القرن 3هـ، أخذت معاني الحب تتسع وتتلون بها المقامات، و أصبح الحب أساس الأحوال الصوفية. فالحلاج يرى أنه لا سبيل إلى معرفة الله بالعلم، بل إن الحب هو الطريق إليها، إذ ليست المعرفة الفكرية هي التي تقربنا من الله ، إنما هو خضوع القلب للأمر الإلهي في كل لحظة."[2]

هذا الحب الصوفي وُجِّه نحو السماء، نحو العلوّ، ليخصّ به الذات الإلهية، فارتبط حبهم بالكمال، و البقاء في السرمدية، يكون محلها القلب الخالص خالي من المعرفة الفكرية .

و لم يَحِدْ ابن عربي على ذات المسار، بأن وصف الحب الإلهي هو كل حب منزه عن غير ذاته العليّة، و كذلك بتقسيمه للحب إلى درجات، حيث " اعتبر الحب الحقيقي الموصل هو الذي يتجرد فيه قلب صاحبه من كل ما سوى الله، فلا تبقى فيه ذرة مما يمكن التعلق به إلى جانب الله ، فالحب الحقيقي هو الذي يكون فيه التعلق بالله وحده، و الحب عنده درجات، أولها هوى و أوسطها حب، ثم ود، و آخرها عشق."[3]

أما الحب الإلهي عند الشيخ أحمد التّجاني فيقسمه إلى أربعة أقسام :[4]

---

[1] عبد المنعم الحفني: رابعة العدوية: إمامة العاشقين و المحزونين، دار الرشاد، القاهرة، مصر، ط1، 1991، ص16.

[2] ساعد خميسي، نظرية المعرفة عند ابن عربي، دار الفجر للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2001، ص41.

[3] المرجع نفسه: ص 411.

[4] ينظر:علي حرازم، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس أحمد التجاني،ج2، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، د ط،1977، ص 94.

القسم الأول: وهم الذين يحبون في الله ثوابه، وأما **القسم الثاني،** فيحبون في الله آلاءه ونعماءه، ودليل هاتين المحبتين قوله صلى الله عليه وسلم: «أحبوا الله لما يعدكم به من نعمة، و أحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي » . أما محبتهم للثواب فهي واضحة – كما يرى الشيخ – لا تحتاج إلى شرح وكذلك محبتهم لآلائه و نعمائه، و هاتان المحبتان – في نظر الشيخ – هي لعامة الناس إذ أن لكل المؤمنين حظ منها، ولكنها تزول بزوال سببهما

أما **القسم الثالث:** فهو محبتهم لما هو عليه من الكمال والجمال ، بينما **القسم الرابع:** محبتهم للذات العلية، وأما أسباب المحبة الثالثة فيقول الشيخ: «أما القسم الثالث فسببها ثابت، وهو ما عليه ربنا من أوصاف الكمال والعظمة والجمال، وهذه لصغار الأولياء» لكن هذه المرتبة لا تلحق المرتبة الرابعة لأن المرتبة الرابعة مجردة عن الأسباب والعلل والأوصاف، وهذه لا تكون إلا لمن فتح عليه ورفع عنه الحجاب، وشاهد أسرار الأسماء والصفات، والمواهب ، والحقائق والكمالات.

و ينشد الشيخ أحمد التّجاني قصيدة في الحب الإلهي يقول فيها :

ألا ليت شعري هل أفوز بسكرة من الحب تحيي مني كل رميمة

و هل لذري الإحسان ترقى عوالمي و هل تتجلى الذات فيها لفكرة

و هل لي بغيب الغيب بالله غيبة تغيب كلي عن جميع الخليقة

و هل نفحات القرب فضلا تعمني و قد هدمت مني رسوم الطبيعة

و هل جذبات بالتـجلي تـؤمني فتسلبني عن كل كلي و جملتي [1]

[1] علي حرازم: جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس أحمد التجاني،ج2، دار التجاني للطباعة و النشر، تغزوت، الوادي، ط1، 2009، ص 98.

إنّ فحوى الحب الإلهي في رسائل الشيخ أحمد التجّاني، التي وجهها الشيخ لبعض طلبته نقتطف منها بعد البسملة و الصلاة و السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم:"... و يكون تعلق القلب بالله تعالى، بالانحياش إليه و الرجوع إليه، و ترك كل ما سواه عموما و خصوصا، فإن قدر العبد على ارتحال القلب إلى الله بكل وجه و على كل حال بحركة القلب حسا فهو الغاية ...- بعد صيغة للذكر- و صبر على حمل نفسه سهل عليه تعلق القلب بالله تعالى برفض كل ما سواه. و هذا باب كبير من العلم يعلمه من ذاق أدنى شيء من علوم الرجال و يعلم قدره، فلا تهملـه. "[1]

و هنا يرى الشيخ أن من علامات المحبة للذات الإلهية هي السعي في رضا المحبوب، والوقوف عند أمره، واتباع قوله وفعله، و يشترط الحضور الدائم للقلب، حتى و إن عصيت عليك نفسك فهذبها بالذكر الدائم و كذلك الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل وقت إلى أن تنصاع نفسك لذاك و يصبح حب الله متعالٍ عن كل شيء، و يصبح طمع الفرد في محبة الله سبحانه و تعالى له، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ آل عمران 31.

و هذه رسالة أخرى بعث بها الشيخ إلى العلامة سيدي عبد القادر السلاوي جاء فيها بعد البسمـلة و الصلاة و السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم:" و الـذي أوصيـك بـه و يكون عليه سيرك و عملك هو أن تعلق قلبك بالله ما استطعت، و وطِن قلبك على الثبوت لمجاري الأقدار الإلهية، و لا تعوِّد نفسك بالجزع من أمر الله، فإن ذلك مهلك للعبد دنيا و أخرى. و إن اشتد بك الكرب، و ذاق بك الأمر فالجأ إلى الله تعالى، و قف موقفك في باب لطفه، و اسأله من كمال لطفه تفريج من ضاق، و زوال ما اشتد كربه، و أكثر الضراعة و

[1] محمد الكبير التّجاني: مختارات من رسائل الشيخ سيدي أحمد بن محمد التجاني، مطبعة الكرامة، الرباط، المغرب، ط1، 2009، ص 99-100 .

الابتهال إلى الله تعالى في ذلك. و ليكن ذلك منك على حالة منفرد القلب بالله، متفردا عن الشواغل رأسه ".[1]

إن الشيخ في هذه الرسالة أصر على نفس الأمر في نفس الرسالة الأولى و أوصاه بأن يعلق قلبه بالله عز و جل في علاه، و أوصاه كذلك بدوام التضرع و الابتهال كي يزداد قربه من الله تعالى و كما قال: كي توطن قلبك بالله، لكنه في المقابل نهاه عن الفزع من أي أمر يحل به يذهب حاله تلك، و يوصله إلى حال التشتت و الخوف و الفزع مما يبعده كل البعد عن هذا الرابط و هذا التعلق و هو المنشود، فكما سرد له قصة العجوز التي وصلت لحالة فزع كبيرة ابعدتها عن تعلق قلبها بالله وحده، و هذا الأمر مرفوض لأنه حسب الشيخ مهما حصل و إن ضاقت بك السبل فتوجه للخالق وحده يفرج عنك، و وحده يمنحك السكـون و الطمأنينة في قلبك.

2- النــور المحمــدي:

النور المحمدي أو ما يعرف بالحقيقة المحمدية، أو غير ذلك من التسميات المتعددة لهذا المفهوم، و لقد ظهر هذا المفهوم على يد الحلاج، و من ثم سار على نهجه أغلب الصوفية، " ولقد ظهر هذا الاعتقاد بفكرة الحقيقة المحمدية، لأول مرة في التصوف مع أبي منصور الحلاج، وأخذ في التطور على يد بعض الصوفية حاملة أسماء مختلفة منها: الإنسان الكامل، القطب البارز، الحقيقة المحمدية."[2]

و الحقيقة المحمدية هي: " التعين الأول الذي ظهرت منه النبوة والرسالة، والولاية ونشأت عنه جميع التعينات. ولأجل ذلك كان نبينا محمد–صلى الله عليه وسلم – سيد الوجود وأصل كل موجود وهو أول الأولين وخاتم النبيين المختص بالاسم الأعظم الذاتي، الذي لا يكون له

[1] المرجع نفسه: ص 209–210.

[2] أحمد توفيق عباد: التصوف الإسلامي تاريخه ومدارسه المكتبة الأنجلو مصرية، مصر، دط ، 1970. ص 89 .

دون جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من حيث أنه المرجع الأصلي لجميع التعينات."[1]

فالله سبحانه و تعالى قبض قبضة من نوره وهي الحقيقة المحمدية نور سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، وظهرت بالصورة المكرمة وجعل منها كل شيء بعدها، كل ما في الدنيا خلق من ذاك النور، و على هذا الأساس خلق الإنسان على الفطرة أي أن كل ما في الدنيا أساسه إيمان و إسلام خالص لله تعالى ، فجعل منها أهل السعادة ، وأهل الشقاوة واختفى ذلك النور بأحوالها وشؤونها، وعلى هذا كانت الحقيقة المحمدية هي الجامعة للكمالات الإلهية، وهي من تجلي الاسم الفرد، والتي خلق الله منها كل مخلوق، و منه فالنور المحمدي تمثل الله في عالم الخلق ولها وجهان، وجه الحق ووجه الخلق، فالحق هنا هو الفطرة و الخلق هي الهيئة التي يخلق الإنسان بها.[2] و يعتبر ابن عربي "أن للإنسان الكامل رمز ومفهوم حسي ونموذج معنوي، أما الرمز فهو آدم عليه السلام ، أما المفهوم الحسي فهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أما الحقيقة المحمدية فهي النموذج المعنوي ولعلو الشأن المحمدي كان الأصل الجامع، فأنشأ له الله صورة مجسمة في عالم الحس فكانت حقيقته قبل آدم وتجسدت في محمد الشخص ."[3] و معنى هذا أن أول الخلق كصورة إنسان خلق هو سيدنا آدم عليه السلام كرمز ظاهر للعيان و مجسد على أرض الواقع، أما من الناحية المعنوية فخلق سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أسبق كل الخلق لكن تجلّى ذلك في صورة معنوية على شكل نور غير ظاهر بل به وُجِدَ الوجود كله، وتلك هي الحقيقة المطلقة.

أما فكرة النور المحمدي عند الشيخ أحمد التّجاني لا تختلف كثيرا عن مفهومها عند باقي المتصوفة و منهم ابن عربي، فلقد اتفق جلُّ المتصوفة نور سيدنا رسول الله و صلى الله وسلم هو أساس هذا الكون برمته، و بما أن الإنسان ولد على الفطرة، فهذا

[1] القاشاني: اصطلاحات الصوفية،تح: محمد كمال،ابراهيم جعفر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط1،1981، ص 60.

[2] ينظر: سعيد الشبلي: الإنسان والحرية عند ابن عربي، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، ، دمشق، سوريا، 2007، ص 301-302.

[3] ساعد خميسي، نظرية المعرفة عند ابن عربي، ص 360.

لأن نفسه الزكية بريئة من كل جرم و كل خبث، و في هذا يقول الشيخ :" أنه صلى الله عليه وسلم قبل وجود جسده الكريم، ما بعث الله نبيا ولا رسولا في الأرض إلا وكان هو صلى الله عليه وسلم مُمِد ذلك الرسول أو النبي من الغيب، من حيث أنه لا يتأتى لنبي ولا رسول أن ينال من الله تعالى قليلا ولا كثيرا من العلوم والمعارف والأسرار والفيوض والتجليات والمواهب والمنح والأنوار والأحوال بواسطة الاستمداد منه صلى الله عليه وسلم وهو الممد لجميعها في العالم الغيب."[1] أي أن الشيخ هنا أكد جميع ما قاله الصوفية من قبله، و كما قال أنّ سيدنا رسول الله ﷺ هو الممد لجميع ما في الكون سواءً من علوم أو معارف أو أسرار أو .. إلخ، أي أن جميع الأنبياء و البشر و ما في كون يستمد نوره و أسراره و منحه و أحوالها من سيد الخلق و خاتم المرسلين، فمنه بدأت الهداية و بدأ الدين و منه اكتمل صلى الله عليه وسلم. و ما يؤكد هذا القول حديث نبوي شريف، حيث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " قالوا يا رسول الله متى وَجَبَتْ لك النبوة؟ قال: و آدم بين الروح و الجسد. رواه الترمذي"[2]لأن الله خصّ نبيه عن سائر الأنبياء و لأن روحه صلى الله عليه وسلم قبضة من نور الله تعالى، و نجد حديثا آخر يؤكد ما تطرقنا إليه سابقا و هو، "و عن ابن الجوزي في كتاب الوفا بفضائل المصطفى بلفظ: قلت يا رسول الله متى كنت نبيا؟ قال: لما خلق الله الأرض، و استوى إلى السماء فسواهن سبع سمواتٍ، و خلق العرش، كتب على ساق العرش محمد رسول الله خاتم الأنبياء››"[3]. و ليس هذا فقط بل خصه الله بذكر يحيي قلوب الميتين و منه ذكر التجانيين بما يعرف بصلاة الفاتح، لما فيها من سر و عظمة كبيرة

[1] محمد بالمشري: الجامع لدرر العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم، مخطوط متواجد بالزاوية التجانية بتماسين، ص45.

[2] عبد الله الغماري الحسني: الأحاديث المنتقاة في فضائل سيدنا رسول الله ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص5.

[3] المرجع نفسه: ص 8

التي جعلها الشيخ أحمد التجاني وردا لمريديه، لأن ذلك يزيد من حب الرسول صلى الله عليه الموصل لحبه سبحانه و تعالى.

و هذه رسالة أرسلها الشيخ أحمد التجاني إلى سيدي الحاج علي حرازم، ذاكرا فيها النور المحمدي، و التي يبدأ رسائله دائما بالبسلمة و الصلاة على خير الأنام صلى الله عليه وسلم:" ... و في الورد المعلوم الذي هو من ترتيب سيد الوجود صلى الله عليه وسلم و إملائه الشريف، و قدره المنيف، في الطريقة المحمدية. و بما اشتملت عليه من الأسرار و الأنوار الأحمدية و في جميع الطرق و الأذكار و الصلوات، و الأسماء و الآيات و السور، و جميع الأسماء و المسميات، و الاسم الأعظم الكبير، الذي هو برسول الله صلى الله عليه وسلم، و في جميع تراكيبه و أسراره، و علومه و فيوضاته و أنواره، و جميع تصرفاته عموما و خصوصا، تقييدا و إطلاقا، إجازة و إذنا عاما تاما، شاملا لأنواع التصرفات بأسرها، و الدعوات بأنواعها و أسرارها، و علومها و تصرفاتها، أبدًا سرمدا، خالدا تالدا إلى يوم الدين."[1] ذكر الشيخ النور المحمدي نور سيد الخلق نبيبنا و حبيبنا محمد عليه أفضل الصلوات و أزكى التسليم، أي أنه من أنصار هذا التوجه و بشدة، بحيث حثّ المريدين على التمسك بالأوراد و بالصلاة على سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أي تعتبر من الركائز التي تقوي المحبة بين المريد و رسوله و حبه الذي يوصل للمبتغى الأعظم التقرب من الذات العليا، و لم يكتف بهذا فقط أي لم يعتبر النبي محمد – عليه الصلاة و السلام– مجرد نبي يتبع و يُقتدى به للوصول للآمال المرجوة، بل وجههم لشيء أكثر تعظيم و أكثر قداسة باعتبار أن نوره من فيض الذات الإلهية و أنه هو موطن و مركز العلوم كلها، المعارف برمتها، الأسرار بعظمتها، الفيوض و التجليات و المواهب و المنح التي لا نهاية لها إلى آخر الخلق، الأنوار التي تضيء كل ظلام و ظلال و الأحوال التي يرتقي بها من أراد

[1] محمد الكبير التجاني: مختارات من رسائل الشيخ أحمد التجّاني، ص 148 .

الوصول إلى أعلى المقامات كلها مصدرها النور المحمدي بلا منازع، فهذه الأسرار تزيد من قوة المحبة و تعلق به، و تُحدِث السكينة و الطمأنينة في القلوب، لأن الله جلَّ في عُلاه، فضَّل و عظم الدين الإسلامي الذي جاء تحت لواء الرسالة المحمدية عن جميع الديانات الأخرى، فطوبى لكل من اقتدى به و سار على نفس النهج.

3- الأحــوال و المقامــات:

مصطلحات الحال والمقام قديمان قدم المؤلفات الأولى للتصوف، فقد تناولهما القشيري في رسالته و السّهروردي في (عوارف و المعارف). والطّوسي في (اللمع) وغيرهم.

ومن المسائل التي طُرحت حول هذين المفهومين: مسألة تأصيلهما من القرآن أو السُّنة، فقد رأوا أنّ قوله تعالى: ﴿ **وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ** ﴾ (الصافات 166) دليلاً ساطعاً على الذي ذهبوا إليه. ومسألة تعريف الحال وتعريف المقام والفصل بينهما، وعلامات كل واحد، وأيهما أشرف؟ وما طريق الحال؟ وما طريق المقام؟ ثم أنواع الأحوال و المقامات.

الحال عند الصّوفية متغير يتحكم فيه اضطراب القلب و سكونه أي أنه : "معنى يرد على القلب من غير تعمّد منهم ولا اِجتلاب ولا اكتساب لهم، من طرب أو حزن أو بسطٍ أو قبض أو شوق أو انزعاج أو هبة أو احتياج فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب " [1].

من هذا التعريف نرى أن الحال ليس خاصًا بالصّوفية فهو عامٌّ بين المسلمين. لأن الإحساس العابر بالشوق إلى الله، أو بغيره من الأحاسيس موجود في كل قلب مسلم إلاّ أنّ الصّوفي يتنبّه لمثل هذه الأحاسيس ويحاول أن يعيشها مرّة أخرى، فيعمد إلى مجاهدة نفسه.

[1] القشيري: الرّسالة، ص 57.

أمّا الطوسي فيقول: "فهو ما يحلّ بالقلوب أو تحلّ به القلوب من صفاء الأذكار"[1]. نلاحظ أن الطوسي علَّق حدوث الأحوال بصفاء الأذكار. وقد حُكي عن الجنيد أنه قال: الحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم [2].

بالجمع بين هذه الأقوال الثلاثة نجد أن الحال هو معنى يرد على القلب من غير تعمد أو كسب وهو لا يدوم كالبرق، ومما يساعد على حدوثه صفاء الذكر.

وهناك من خالف مسألة ديمومة الحال، وقال بأنها يجب أن تدوم فإن لم تدم فهي لوائح وطوالع وبوادر وهي مقدمات الأحوال وليست بأحوال.[3] ولكن إن كان الحال هو الذي يدوم فما الفرق بينه وبين المقام؟!

أمَّا المقام فهو "ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب مما يتوصَّل إليه بنوع تصرّف، ويتحقق به بضرب تطلّب، ومقاساة تكلف، فمقام كل أحد موضع إقامته عند ذلك، وما هو مشتغل بالرياضة له "[4]. إذن فالمقام مرتبة أو منزلة يصلها الصّوفي بكسبه عن طريق الرّياضة الروحية وتزكية النفس.

ولقد ذكر القشيري الشرط اللازم لإرتقاء الصّوفي من مقام إلى مقام وهو استيفاء أحكام المقام الذي سينتقل منه "فإن من لا قناعه له لا يصحّ له التوكل، ومن لا توكل له لا يصحّ له التسليم، وكذلك من لا توبة له لا تصحّ له الإنابة، ومن لا ورع له لا يصحّ له الزهد "[5].

ومن المقامات: المراقبة والقرب والمحبة والخوف والرجاء والشوق والأنس والطمأنينة والمشاهدة والتوبة والتوكل والزهد والورع و....

---

[1] الطوسي: اللّمع ، ص 66.

[2] المرجع نفسه: ص ن.

[3] السَّهروردي : عوارف المعارف ،ج2، ص 266.

[4] القشيري : الرسالة، ص 56.

[5] المرجع نفسه: ص ن.

وقد تحدّث السّهروردي في العوارف عن علاقة الحال بالمقام وكيفية تحول الحال إلى مقام فقال: "الحال سُمي حالاً لتحوله، والمقام مقاماً لثبوته واستقراره وقد يكون الشيء بعينه حالاً ثم يصير مقاماً، مثل أن ينبعث من باطن العبد داعية المحاسبة، ثم تزول الداعية بغلبة صفات النفس ثم تعود ثم تزول ، فلا يزال العبد في حال المحاسبة يتعاهد الحال ثم يحوّل الحال بظهور صفات النفس إلى أن تتداركه المعونة من الله الكريم ويغلب حال المحاسبة و تنقهر النفس وتنضبط، وتتملكها المحاسبة فتصير المحاسبة وطنه ومستقره ومقامه ".[1] أي الفرق بين الحال هو: أن الحال متغير، و المقام ثابت، و حال درجة قبلية تتدرج للوصول إلى درجة المقام، و الحال مضطرب لا يثبت، فبالمجاهدة و المحاسبة و تهذيب النفس، ترتقي من حال إلى حال، ثم من حال إلى مقام، ثم من مقام إلى مقام أرقى.

و تحدثوا أيضا عن ترقي المريد من مقام إلى مقام واختلفوا في تصورهم لهذا الترقي، فقال بعضهم لا ينبغي أن ينتقل من المقام الذي هو فيه حتى يُحكمه. وقال آخرون لا يكمل المقام الذي هو فيه إلاّ بعد ترقيه إلى مقام فوقه فينظر من مقامه العالي إلى ما دونه فيُحكِمَ أمر مقامه. أمَّا السّهروردي فله رأي خاصّ في هذا فهو يرى أن "الشخص في مقامه يُعطى حالاً من مقامه الأعلى الذي سوف يرتقي إليه، فبوجدانه ذلك الحال يستقيم أمر مقامه الذي هو فيه. ويتصرف الحق فيه كذلك "[2]. وهناك إشارة لابدّ منها في هذا الإطار، وهي أنّ ليس كل الأحوال تتحول إلى مقامات، والسّبب أن الأحوال وهبٌ من الله والمواهب لا نهاية لها أما المقام فكَسْبٌ.

وحتى تنضبط الأحوال والمقامات ولا تتداخل مع خطرات النفس وهمزات الشياطين وغير ذلك فقد وضع الواسطي علامات ضابطة لهما مميزة لهما عن غيرهما. إذ قال : "ما وافق كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وجذب إلى الله، واتصل بالله وآثرهما قرباً من الله،

[1] السهروردي : عوارف المعارف ، ص 264.

[2] المرجع السابق: ص 266.

وعبد الله بذلك الحال، فاِتصلت عبودية العابد بذلك الحال بالله وكان الله عز وجل هو المعبود به والمعظم فيه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الدَّاعي إليه والعابد له فيه، وكان العبد هو الذليل الفقير الرَّاجع إلى مولاه بالافتقار والالتجاء إليه كما أنها تزهد صاحبها في الفاني وترغبه في الباقي وتغيبه عن الخلق وعمّا في أيديهم فيتصل غناه بالله وفقره إليه وينفصل عن العالم وعن الأشياء مما سوى الله تعالى "[1].

ولقد فرّق المتصوفة الذين درسوا التصوف بين الحال والمقام وذكروا فروقات عدّة نُجْمِلها فيما يلي:

1 – الحال وهبٌ والمقام كسب.

يقول القشيري : "والأحوال تأتي من عين الجواد والمقامات تحصل بالمجهود "[2].

2 – صاحب المقام مُمَكَّن في مقامه، وصاحب الحال مترقٍ عن حاله.

3 – الحال متحول. والمقام ثابت.

4 – الحال من المواجيد والمقام طرْقٌ لهذه المواجيد.

5 – الحال سابق والمقام لاحق. (في الزمن)

6 – حسب السّهروردي: الحال أشرف من المقام. وفي هذا يقول :"المقام لمّا كان مشوباً بكسب العبد اِحتمال وجود الطبع فيه والحال لمّا كانت موهبة من الله نزهت عن مزج الطبع،

[1] الواسطي عماد الدين : قواعد في السّلوك إلى الله تعالى، تح: محمد بن عبد الله أحمد دار البشائر الإسلامية ،بيروت، لبنان،ج4، ط 2014 ، ص 237.

[2] القشيري : الرسالة. ص 57.

فحال الرضا أشرف، ومقام الرضا أمكن ، ولابدّ للمقامات من زائد الأحوال، فلا مقام إلاّ بعد سابقة حال، ولا تفرّد للمقامات دون سابقة الأحوال "[1].

ولا بُدَّ من مراجعة هذا الرأي، لأن المقام اجتمع فيه توفيق المعبود وعمل العبد، فالصّوفي لا يرتقي من مقام إلى آخر إلاّ بتوفيق الله ومَنِّهِ. في حين أن الحال وهبٌ فقط. وزدْ على ذلك أن المقام تنعُّمٌ متواصل أمّا الحال فتنعّمه منقطع.

وقد عادت الأحوال والمقامات (الكلام فيها وتحديدها وبيان وأقسامها...) على التصوف بعدّة فوائد:

1 – بيَّنت السّلوك والمنهج الذي يتوجب على المريد الصّوفي سلكه ونهجه، فلا يقع في التخبط والعبثية والتشتت.

2 – تفرّق هذه الأخيرة بين السّالك الحقيقي ومدّعي السّلوك.

3 – تأطير هذه المقامات والأحوال في إطار شرعي أكسبها مقبولية علمية وشرعية، وأبعد عنها كل الشبهات.

وحين تتبعنا مسألة الأحوال والمقامات وجدنا خلطاً بينهما وتداخلاً في الحدود والماهية، ولعل هذا الخلط جعلنا نذكر المعنى (التوبة ، الورع ، الرضا...) دون أن نصنفه في الأحوال أو في المقامات.

وأسباب الخلط بينهما كثيرة:

1 – مقولات العارفين الأوائل لم تكن تفرّق بين الحال والمقام لأن المصطلحين لم يظهرا حين ذاك. ونحن قد نقلنا أقوالهم أثناء الحديث عن هذه المعاني.

[1] السَّهروردي : عوارف المعارف، ص 267-268.

2 – مسألة التعميم والتفصيل؛ فمن العارفين من يَحْلُو لَهُ تفصيل الأحوال والمقامات ومنهم مَنْ يُجْمِل دون تفصيل كالحديث عن: المحبة والشوق والوجد والوله والهيمان على أنها شيء واحد.

أ– التوبـة:

قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(النور 31)

أغلب كتب المتصوفة تبدأ بالتوبة لأنها عتبة المسلك الصّوفي؛ فلا يعقل أن يترقى المريد في المقامات وهو بَعْدُ لصيق المعاصي والذنوب، لذلك توجب عليه الانفكاك منها ولا سبيل له لذلك إلاّ بالتوبة. وهذا الذي يراه السّهروردي؛ فالتوبة بعد الإيمان هي أصل كل الأحوال والمقامات [1].

يعرّف القشيري التوبة قائلا: "وحقيقة التوبة في لغة العرب الرجوع .يقال تاب أي رجع. فالتوبة الرجوع عمّا كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمودٌ فيه "[2].

وقد سُئِل الجنيد عن التوبة ما هي؟ فقال: هو نسيان ذنبك. فمعنى قول الجنيد: أن تخرج حلاوة ذلك الفعل من قلبك خروجاً لا يبقى له في سرّك أثر، حتى تكون بمنزلة من لا يعرف ذلك قط.[3]

يعتبر مقام التوبة من أكثر المقامات التي يتشبث بها الصوفي للوصول إلى أعلى المقامات، فأول خطوة يبدأ بها لتهذيب النفس و استكانة القلب هي التوبة، فبها تنفتح مغاليق الأبواب السماوية، و تعيد السكينة للقلب و الروح.

---

[1] السَّهروردي : عوارف المعارف ، ص 270.

[2] القشيري : الرسالة، ص 80.

[3] ينظر: الكلاباذي : التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص107.

إن الخوف الدائم من الله و خوف من المعاصي و تفاقمها يوصل إلى المهالك و طرق شائكة، فالتوبة هي السبيل الوحيد لنجاة من بحر المعاصي، فهي سفينة النجاة بدون منازع.

إن الشيخ أحمد التجاني أكثر ما يؤكد عليه هو التوبة للمريد، ليتخلص من جميع الآثام و المعاصي، و هي التي ترقي المريد إلى أعلى الدرجات، فالتوبة تحي القلب من جديد رغم ما ارتكبته نفسه من معاصي، سواء أكانت من الكبائر أم مما هو صغير.

و مما كتبه الشيخ في هذا الشأن رسالة التي بعث بها إلى كافة أصحابه تتضمن قوله بعد البسملة و الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم:" الوقوف مع الله بلزوم الذل و المسكنة، في مركز الافتقار و الاضطرار، و خوف القلب من مزعجات سطوته، و فرقا من خفي مكره، و لزوم الرضا و التسليم له سبحانه و تعالى لكل واقع في الوجود بلا انزعاج ولا اضطراب، و لا طلب لزواله إلا ما كان من أفعال نفسه، فليبادر إلى التوبة فيما وقع من خروج أفعاله عن الشرع، فإنه لا يحل البقاء في ملابسته شرعا، و أن يعلم أنه من حكم الله فلا عذر له في ترك التوبة.."[1]

إن الهدف من وراء هذه الرسالة هو ايصال كل مريد إلى طريق الله بالتضرع و التذلل له، و جعل لكل واحد خلوة خاصة به تشعره بالاطمئنان و مدى لذة و حلاوة القرب من الله بعد التوبة، رغم كثرة المعاصي، فكما قال المولى في كتابه العزيز:﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾. [نوح :10-12] . و لكن ليس هذا فحسب بل أيضا العمل على إعانة الآخرين و قضاء حوائجهم حسب الاستطاعة، أي لا إفراط و لا تفريط في ذلك، وتخص به أقاربك الخواص أولى من العامة، و يكون كل ذلك برضا القلب، و أن تكون مبادراً بالتوبة و لا تتأخر عنها.

[1] محمد الكبير التجاني: مختارات من رسائل الشيخ، ص 45 .

و مما قال أيضا في هذا الأمر في رسالته إلى فقراء فاس :" ...و أوصيكم بتقوى الله تعالى و ارتقاب المؤاخذة منه في الذنوب. فإن لكل ذنب مصيبتين لا يخلو العبد عنهما، و المصيبة واحدة في الدنيا و واحدة في الآخرة ... فالحذر الحذر من مخالفة أمر الله، و إن وقعت مخالفة– و العبد غير معصوم– فالمبادرة بالتوبة و الرجوع إلى الله، و إن لم يكن ذلك عاجلاً فليعلم العبد أنه ساقط من عين الحق متعرض لغضبه، إلا أن يمنّ عليه بعفوه، و يستديم في قلبه أنه مستوجب لهذا من الله، فيستديم بذلك انكسار قلبه، و انحطاط رتبته في نفسه دون تعذر.."[1]

لقد تغير أسلوب الخطاب هنا بالنسبة للشيخ إلى المريدين بنبرة تحذيرية شديدة، مقارنة بما أوصى به في الرسالة السابقة، فقد أوصى بالتعجيل في التوبة و عدم التماطل فيها، بأن في ذلك شر كبير و قد يؤدي إلى الخروج من رحمة الله و العياذ بالله، و بالمقابل دعا إلى التقرب الدائم لله و اتقائه في السر و العلانية، و كذلك بالمحافظة على الصلوات في وقتها، و خاصة جماعة، و الذكر الدائم له' و كذلك الصلاة الدائمة على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، و أكد في ذلك على أوراد الطريقة التجانية المتبعة، و منها صلاة الفاتح.

- الصبـر:

قال الشيخ أحمد التجاني في تكملة للرسالة السابقة، لكنه أنتقل هنا للحديث عن الصبر بعد التوبة قائلاً:" ... و عليكم بالصبر في أمر الله فيما وقع من البلايا و المحن، فإن الدنيا دار الفتن، و بلاياها كأمواج البحر، و ما أنزل الله بني آدم فيها إلا لمصادمة فتنتها و بلاياها. فلا مطمع لأحد من بني آدم في الخروج عن هذا مادام في الدنيا، و الصبر بحسب أحواله كل على قدر طاقته و سعته. و أعملوا في نفوسكم سلوة إذا نزلت البلايا و المحن بأحدكم، فليعلم أن لهذا خُلقت الدنيا و لهذا بُنيت و ما نزلها الآدمي إلا لهذا الأمر، و كل الناس

[1] المرجع السابق: ص 68.

راكضون في هذا الميدان فليعلم أنه كأحدهم مساو له."[1] خلق الله الإنسان في هذه الدنيا لعبادته و توحيده، و لا يتأتى هذا إلا بالمداومة على الشرائع، و الصبر على البلايا و المحن، لذلك أوصى شيخنا التجّاني مريديه بالصبر على كل يصادف حياة الشخص من فاجعة أو فقد أو حزن أو دين أو غيرها من أمور الحياة المختلفة، الصبر هنا يجب أن يقترن بالرضا لأن كل البشر يصيبهم بلاء و لكن بتفاوت بينهم، فقد يكون بلاء في الجسد و العياذ بالله أو في المعاملات أو في مال أو .. و رغم كل هذا إلا أن الله في قوله:﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة 286] .

أي أنه مهما اشتد بك البلاء أيها المريد، فلن يكون ذلك أكبر من درجة تحملك و ذلك لرحمة الله بنا.

و مما قاله أيضا في الصبر:" ... و ليكن في علمكم أن جميع العباد في هذه الدار، أغراض لسهم مصائب الزمان، إما بمصيبة تنزل أو بنعمة تزول، أو بحبيب يُفجع بموته أو هلاك أو غير ذلك، مما لا حد لجمله و تفصيله، فمن نزل منكم مثل ذلك، فالصبر الصبر لتجرع مرارتها، فإنه لذلك نزل العباد في هذه الدار. و من كبا به منكم جواده عن تحمل ثقلها، و مقاومة ما يطرأ عليه من أعبائها، فعليه بملازمة أحد الأمرين أو هما معاً و هو أكمل، الأول ملازمة يا لطيف ألفاً خلف كل صلاة إن قدر، و إلا ألفا في الصباح و ألفا في المساء، فإنه بذلك يسرع في الخلاص من مصيبته، و الثاني مائة صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بالفاتح لما أغلق إلخ ... "[2]

و هنا كذلك أوصى على الصبر، لكن تطرق هنا إلى أنواع المصائب التي قد تحل بالمسلم في هذا الزمان، لأن الدار ليست جنة، و بالصبر فيها تنال المراد. فالمصائب إما بمصيبة تنزل فجأة فيفزع بها صاحبها، أو بنعمة تزول يأسى و يحزن لفقدانها، أو بحبيب يفجع بموته

[1] المرجع نفسه: ص 69-70.

[2] علي حرازم : جواهر المعاني و بلوغ الأماني، ص 642-643-644.

أو هلاكه و هي من الأكثر الحوادث إيلامًا للناس في الحياة، لذلك أوصى الشيخ مريديه بالصبر لتجاوز من حل بهم، و كذلك بنصحهم بإتباع أمرين: الأول ملازمة يا لطيف ألفاً خلف كل صلاة إن قدر، و إلا ألفا في الصباح و ألفا في المساء، و الثاني مائة صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بالفاتح لما أغلق، و بملازمة أحد الأمرين يعجل عليك الله بالفرج، أو يوقع في قلبك السكينة و الرضا بقضائه و قدره.

ج-الزهـــد:

يعدّ تعريف الجنيد من أشهر تعاريف الزهد، فهو القائل: "الزهد خلو الأيدي من الأملاك والقلوب من التتبّع "[1]. وفي هذا التعريف دعوة صريحة إلى الفقر، فهل الزهد مشروط بالفقر؟!

الذي خالف هذا التعريف ومثله من التعاريف، تعريفُ سفيان الثوري: "الزّهد في الدنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباء "[2]. إذن حسب الثوري فإن الزهد ليس مقروناً بالفقر (أكل الغليظ ولبس العباء) بل هو في القلب وترويضه على قصر الأمل في الدنيا كي لا ينشغل بها عن ربّه . وبالجمع بين الرأيين نخرج برأي ثالث وهو أن الفقر يساعد المريد على مقام الزهد في بدايات طريقه ثم لا يكون الفقر غاية بعد ذلك.

أمّا السهروردي فقد تكلم في مفهوم الزهد حيث قال :"وعندي أن الزهد في الزهد بالخروج من الاختيار في الزهد، لأن الزاهد اختار الزهد وأراده، وإرادته تستند إلى عمله. وعمله قاصر، فإذا أقيم في مقام ترك الإرادة وانسلخ من اختياره كاشفه الله تعالى بمراده فيترك الدنيا بمراد الحق لا بمراد نفسه، فيكون زهده بالله تعالى حينئذ "[3]. في هذا النص أراد السّهروردي أن

[1] الكلاباذي : التعرف، ص 109.

[2] القشيري : الرسالة، ص 95.

[3] السّهروردي : عوارف المعارف، ص 283.

يرتقي بمفهوم "الزهد في الزهد " فَبدَلَ أن يختار العبد الزهد في الزهد يسلم أمره لله تعالى كي يدير له الله الزهد، فإرادة الله أرقى من إرادة العبد.

ومن الفوائد التي ترجى من الزهد أنه رأس كل خير وطاعة حيث يقول الطوسي: "فمن لم يُحْكِم أساسه في الزهد لم يصحّ له شيء مما بعده لأن حبّ الدنيا رأس كل خطيئة والزهد في الدنيا رأس كل خير وطاعة"[1].

وذلك لأن الزهد يصفّي القلب من الشواغل حرامها وحلالها، فتستعد النفس للعبادة والطاعة وتنشط وكلما كان في القلب شاغلٌ تثاقلت النفس.

و في الزهد يقول الشيخ في رسالته:" و اعلم أن الزهد في الدنيا يورث العلم من غير تعليم و الهدي بغير هداية، و العز من غير عشيرة و الغنى من غير مال، قال صلى الله عليه وسلم : من أراد أن يؤتيه الله علما بغير تعلم و هدى بغير هداية فليزهد في الدنيا، و قال صلى الله عليه وسلم: إذا زهد العبد في الدنيا أورثه الله ثلاثة خصال: عزا من غير عشيرة، و غنى من غير مال، و علما من غير تعلم• قلت: و الخامس من فوائد الزهد: محبة الله للزاهد، قال ﷺ للذي سأله عن عمل يحبه الله عليه و يحبه الناس: ازهد في الدنيا يحبك الله، و ازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس››.[2] أبرز الشيخ هنا أهمية الزهد في تهذيب النفس و ترقيتها، فهو يُكسِبُها عزا و غنى و علما و هدى التي بدورها تتبلور إلى محبة إلهية خالصة متبادلة بين الخالق و المخلوق، و كذلك تقوي محبة الناس للزاهد، أي أن الزهد ركيزة أساسية من الركائز التي يجب على المريد أن يتحلى بها لما فيها من فائدة تعود على

[1] الطوسي : اللمع، ص 72.

[2] محمد الكبير التجاني: مختارات من رسائل الشيخ، ص 207-208

الفرد بالخير الوفير كذات خاصة، و كذلك تعود بالنفع على المجتمع و كل ما يحيط به، لذا دعا الشيخ مريديه للزهد في الدنيا، و هذا حال كل المتصوفة.

د-الـــتوكـــل :

من الآيات الحاثة على التوكل قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾(التوبة51)

وقال: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾(الشعراء218)

التوكل من المقامات العمدة عند الصّوفية وهو في تعريف موجز: "طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية والطمأنينة إلى الكفاية فإن أعطى شكر وإن منع صبر"[1]. وهو تعريف يتماهي مع مفهوم التسليم والرضا، كما تتماهى التعريفات التالية مع الرضا والتسليم.

قال الجنيد : "حقيقة التوكل أن يكون (الصوفي) لله تعالى كما لم يكن، فيكون الله له كما لم يزل "[2]. أو تعريف السَّريّ السَّقطي :"التوكل الانخلاع من الحول والقوة "[3]. وقد أعاد أبو بكر الواسطي التوكل إلى أصله وهو الفاقة والافتقار لأنه إذا انتفت منه خصلة الافتقار ما توكل وشدّد في نعته للمتوكل فطلب ألاّ يفارق التوكل أماني الصّوفي وألاّ يلتفت بسره إلى توكله لحظة في عمره [4].

بعث الشيخ برسالة إلى أصحابه يوصيهم فيها بالتوكل على الله جلّ جلاله في كل الأمور و نصها بعد السلام و البسملة و الصلاة عليه ﷺ قال فيها:" وصية لكل من أراد نصيحة نفسه و نصيحة الله (...) فأول ذلك تقوى الله الذي لا إله إلا هو(...) ثم بعد ذلك الفزع إلى

[1] القشيري : الرّسالة، ص 125.
[2] الكلاباذي : التعرف، ص 119.
[3] المرجع نفسه: ص 118.
[4] ينظر: الطوسي: اللمع، ص79.

الله و اللجوء إليه من ضغط كل لاحق من الأمور(...) ثم التقرب إلى الله بمحق العلائق، و قطع العوائق، و ترك الملابسات و المساكنات و الملاحظات، لا لغرض و لا لتختل على الله، بل قياما بحق عظمته و جلاله و حبا لذاته. لكن لكل شخص في هذا على قدر مقامه و رتبنه، و من ابتلي بشيء من مخافة هذا الأمر، فليرجع إلى الله تعالى بالضراعة و الابتهال، و الاستغفار و الانكسار، و التذلل و الاحتقار، معترفا بين يدي الله تعالى بعجزه و ضعفه."[1]

إنّ من أهم أسباب الفلاح في الدنيا و في الآخرة هو التوكل على الله سبحانه و تعالى في كل أمر الحياة بحلوها و مُرها، بصعوبة فيها أو يسر، و لذلك كان الشيخ أحمد التّجاني يدعو مُريديه بدوام التوكل على الله في أي عمل يقومون به، أو أي عبادة يتعبدون بها، فأول ما بدأ به نصيحته هو نصح كل شخص لنفسه أولا و تهذيب النفس على مبادئ الدين الإسلامي المتبع لأنه الركيزة في كل شيء و هو المرجع الأساسي لكل منهج و كل طريق، ثم بعد ذلك بأن يتقي كل واحد في نفسه السوء ظاهرا و باطنا، و خوفا و استحياءً من الله، قال الله تعالى:﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْه مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾(الطلاق2-3). ثم الفزع إلى الله أي التوجه إليه على أي حال كان لأنه هو المُنجي من كل الأهوال و الكروبات، و الخوف من كل ما قد يلحقك بك بالابتعاد عنه و الالتجاء إلى غيره بالتوجه، و ليس هذا فقط بل السعي الدائم إلى التقرب منه عز وجل و التوكل عليه في جملة ما يطرأ عليك أو إلى ما تصبو بدون أي واسطة و بأن يكون تعلقك خاصة به دون ما سواه، لأنه هو الذي له مخازن الأمور كلها ، و هو قاضي الحاجات، و به يُيَسّر كل عسير، و يشترط في هذا كله أن يكون غرضك الأسمى و هدفك المرجو حبك و تعلقك به و أن لا تتواني كل مرة في التدرج نحو أعلى درجة، و تقديس و تعظيم شأنه يقوي الهيبة و يجعلك دائم التذلل له، حتى ولو إن مال قلب لغيره غفلة فارجع إليه متذللاً منكسرا مبتهلاً مستغفراً، و أن تكون نيتك

[1] محمد الكبير التجاني: مختارات من رسائل الشيخ، ص 43-45.

صادقة خالصة كي يرضى الله عليك و ترضى نفسك به. سئل يحيى بن معاذ :متى يكون الرجل متوكلاً؟ فقال: إذا رضي بالله تعالى وكيلا."[1]

في رسالة أخرى بعثها الشيخ موضوعها التوكل يقول فيها:" (...) و من أراد أن لا يكون للشيطان عليه سبيلاً فعليه بتصحيح العبودية لله عزّ و جل، و الإخلاص و الاستعاذة بالله عزّ وجل عند الإحساس بالشدة، و تصحيح الإيمان، و التوكل على الله عزّ و جل، قال تعالى:﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[النحل99]..."[2] ثم نصح مريديه بأن من مال قلبه لغير الله، أو كثرت ذنوبه، أو أحس بشيء من بعده عن الله، أو وقع في جرم أو إثمٍ ما فليبادر لتصحيح إيمانه الذي اهتز، و كل ذلك بتسليم أمره لله وحده، و التعويل عليه في كل شيء، و التوكل الدائم على الخالق عز وجل، فمن يتوكل على الله في قضاء أموره، يجعل الله له مخرجا من كل ضيق، و يرزقه من حيث لا يحتسب، فالتوكل عليه هو سفينة النجاة من الغرق.

هـ- الـرضـــا:

ورد مصطلح الرضا في القرآن الكريم. كقوله تعالى:﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ (البينة8) و ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ﴾(التوبة 72).

فالصوفية يعدّون الرضا آخر المقامات ومن بعده يكون الكشف والمعرفة والذوق.

والرضا – كما يقول عنه الطوسي – باب الله الأعظم وجنة الدنيا وهو أن يكون قلب العبد ساكناً تحت حكم الله عز وجل [3] .

وقد أوجز الجنيد في تعريفه حين قال: "الرّضا رفع الاختيار".[1] ويقصد التسليم الكامل بما يجريه الله عليك من أقدار. و لكن هل كل الأقدار وجب الرضا بها خيراً كانت أم شرًّا؟

---

[1] القشيري : الرّسالة، ص 150.

[2] محمد الكبير التجاني: مختارات من رسائل الشيخ، ص 206.

[3] الطوسي : اللمع ، ص 80.

يجيب القشيري عن هذا السؤال قائلاً : "واعلم أن الواجب على العبد أن يرضى بالقضاء الذي أمر بالرضا به، إذ ليس كل ما هو بقضائه يجوز للعبد أو يجب عليه الرضا، كالمعاصي وفنون محن المسلمين "[2]. وهذه نظرة معتدلة لمسألة القضاء، إذ أن الإنسان إذ رضي بمحنه وقعد عن ردّها أهلكته.

وقال أبو بكر بن طاهر: "الرِّضا إخراج الرهبة من القلب حتى لا يكون فيه إلاّ فرحٌ أو سرور "[3]؛ أي أن كلّ قضاء من الله يقابل بالفرح والسّرور لا بالجزع والرّهبة لا شيء إلاّ لأنه من الله عز وجل.

و تحدث الصوفية في أقسام الرضا، وفيهم من قسمه إلى قسمين وفيهم من قسمهُ إلى ثلاثة. فهذا محمد بن خفيف يقول: "الرضا على قسمين رضا بِهِ، ورضا عَنْهُ، فالرِّضا بِه أن يرضاه مدبِّراً والرِّضا عنه فيما يقضي "[4]؛ أي أن ترضى عنه قبل القضاء وبعده. أمّا ابن شمعون فقد زاد فيها قسماً: "الرضا بالحق والرضا له والرضا عنه، فالرضا به مدبِّرًا ومختاراً والرضا عنه قاسماً ومعطياً والرضا له إلهاً ورباً " [5].

فالرضا من أعلى المقامات التي يمكن للصوفي أن يصل إليها، لذلك كل واحد سار على هذا النهج إلا و سعى بأن يصل إلى هذه المرتبة الرفيعة، التي بها يصل القلب إلى السكينة التامة، و بدوره لم يغفل الشيخ عن هذا المقام الرفيع بأن رغّب مريديه فيه، و توجه لهم بالنصيحة بأن قال لهم في مقتطف رسالته:" ... ثم الوقوف مع الله بلزوم الذّل و المسكنة، في مركز الافتقار و الاضطرار، و خوف القلب من مزعجات سطوته، و فرقًا من خفي مكره، و لزوم الرضا و التسليم له سبحانه و تعالى لكل واقع في الوجود بلا انزعاج ولا

---

[1] المرجع نفسه: ص ن.

[2] القشيري : الرسالة ، ص 143.

[3] المرجع نفسه: ص ن.

[4] المرجع نفسه، ص 143.

[5] السّهروردي: عوارف و المعارف ، ص 294.

اضطراب، ولا طلب لزواله إلا ما كان من أفعال نفسه..."[1] إن درجة الرضا التي يجب أن يصلها المريد تمر بمراحل على حسب كلام الشيخ، فأولها هو أن تقف وقفة ذُل أمام المولى عزّ و جل، وقفة العبد الفقير المحتاج الذي يرجو دائما من مولاه القرب و العفو و الرضا عنه في جميع الأحوال، ثانيا أن يكون قلبه خاشعًا خائفا منه و ذلك بعدم لباس حلة الأمان من مكر في مقارفة الذنوب، و أن يكون قلبه راهبا من عظمة الله تعالى فهو القادر على تصريف الأمور كلها، و ثالثا لزوم الرضا و التسليم له سبحانه، أي أن يسكن قلبك الرضا التام بدون اضطراب و لا انزعاج، أي أن تشكر و تحمد الله على نعمه، و في حال الفزع أن تصبر و تتضرع بذكره و الابتهال إليه في كل ما يصيبك، ولا يضطرب قلبك ولا للحظة، فمقام رضا مقام صعب المنال لا يصله إلا من توجه إلى الله تعالى بقلب سليم شاكر ذاكر .

إن كل هذه المقامات بتدرجها توصل إلى مقام اليقين التام، أي أن كل من اتبع و تراتب في هذه الدرجات فقد فاز بالفوز الأعظم، الفوز بالحياة السعيدة الهنيئة في الدنيا، أن تشعر بحلاوة الحياة، و بأنك اصطفيت دون الناس جميعا بأن وصلت و نلت هذه المكانة العالية، و فاز بنيله الجنة إن شاء الله تعالى شريطة إخلاص النية الدائم فيها.

4- الشـــريـعـــة:

لكل دين متبع شريعة تحكمه، كما هو الحال في ديننا الإسلامي الحنيف، فالشرائع هي التي على أساسها تضبط الأخلاق و تحدد الطاعات و تميز بين ما هو حلال و ما هو حرام، و تضع حدود بين الأجناس و الأعمار، كل ذلك لعبادة الله عز وجل بتطبيق أوامره و اجتناب نواهيه، طلبا لمرضاته بالتقرب له و الفوز بجنته.

[1] محمد الكبير التجاني: مختارات من رسائل الشيخ، ص 45.

كان مصطلح الشريعة ومصطلح الحقيقة في فهم الرَّعيل الأول من الصّوفية فهماً واضحاً جلياً، وكان المصطلحان متصالحان ولكلٍّ مجاله وحيّزه الذي يشغله. إلى أن جاء رعيل آخر وأخلط الأشياء بعضها ببعض وفضّل الحقيقة على الشريعة، بل زاد أن قال بأن لا حاجة للواصل بالشريعة، فأُسْقطت التكاليف الشرعية، واستبيحت المحرمات. الأمر الذي أدّى ببعض رموز التصوف إلى الكلام في المسألة وتغليظ القول، فهذا عبد الله التستري (ت 273) يقول: "ما من طريق إلى الله أفضل من العلم، فإن عدلت عن طريق العلم خطوة تهت في الظلمات أربعين صباحاً "[1]. وقال أبو سعيد الخراز (ت 273) يقول "كل باطن يخالف ظاهرا فهو باطل "[2]. أمَّا أبو بكر الزقاق الكبير فقال: "كنت مارًّا في تيه بني إسرائيل فخطر ببالي أن علم الحقيقة مباين للشريعة فهتف بي هاتف من تحت الشجرة، كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهي كفر "[3].

ورَاح المتصوفة المصنِّفون يبتكرون تعاريف خاصة بالشريعة والحقيقة معاً، وهي تعاريف تحدّ المصطلحين وتبيّن الفرق الواضح بينهما دون أن تفاضل مصطلحاً على آخر. يقول القشيري في الرسالة :"الشريعة أمر بِالتزام العبودية، والحقيقة مشاهدة الربوبية(...) فالشريعة جاءت بتكليف الخالق، و الحقيقة إنباءٌ عن تصريف الحق. فالشريعة أن تعبده والحقيقة أن تشهده "[4].

يقول القشيري في رسالته :"الشريعة أمر بالتزام المعبود والحقيقة مشاهدة الرّبوبية، فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول، الشريعة جاءت بتكليف الخلق، والحقيقة أنباء عن تصريف الحق، فالشريعة أن تعبده والحقيقة شهود

[1] أحمد بن عبد الله الأصفهاني أبو نعيم: حلية الأولياء و طبقات الأصفياء، ج10، دار السعادة مصر، ط1996 ، ص344.

[2] المرجع نفسه: ص ن.

[3] المرجع نفسه: ص ن.

[4] القشيري : الرسالة . ج1 ص 73.

لما قضى وقَّدر وأخفى وأظهر " .[1] أي أن الشريعة هي الدستور الذي سطر لانتهاجه، أما الحقيقة فهي طرق اتباعها.

أما أبو الحسن الشاذلي فقد اعتبر أن الكتاب والسنة معصومين من الخطأ من أراد ألا يزيغ فعليه تباعهما، أما الكشف فليس بالمعصوم، فقد يقع صاحبه في الخطأ لذلك قال:" إذا عارضك كشفك الكتاب والسنة، فتمسك بالكتاب والسنة، وقل لنفسك إن الله تعالى قد ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها لي في جانب الكشف والإلهام".[2]

وليس بعيدا على ما ذهب إليه أبو الحسن الشاذلي و جلُّ المتصوفة، بنى الشيخ أحمد التجاني صرح تصوفه كله ،على الكتاب والسنة ظاهرا وباطنا، واعتمد عليهما للوصول إلى أعلى مقامات التصوف، ومما يدل على أن الشيخ لا يتكلم ولا يقول إلا بما جاء به الشرع ،ما نصح به أصحابه ومريده حيث يقول:" إذا سمعتم عني شيئًا فزنوه بميزان الشرع، فإن وافق فاعملوا به وان خالف فاتركوه"[3] و معنى هذا أن الشيخ بريء من كل ما خالف الشرع، وأن كل فهم لكلامه لا يطابق السنة فهو غير مراد له، فيُحمل على المعنى المطابق لها هذا إن ثبت عنه والا فيُرَد.

ولقد تبنى الشيخ قول الشعراني:" أن الصوفي فقيه مكنه الله سبحانه وتعالى من العمل بعلمه، مما جعله أكثر اطلاعا بدقائق الشريعة وأسرارها حتى صار مجتهدا في الطريق كما هو شأن الأئمة المجتهدين في الفروع." [4] أي أن الجميع أتفقوا أن لا مرجع للشريعة إلا الكتاب و السنة.

---

[1] المرجع نفسه، ص43.

[2] الحاج المكي التجاني: سبيل السلام، مخطوط كتب في21 صفر 1407ه ، ص30.

[3] محمد الطيب السفياني التجاني: الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية، دار التجاني للطباعة والنشر والتوزيع، دت، دط، ص 45.

[4] محمد العربي بن السايح: بغية المستفيد لشرح منية المريد، دار التجاني، تغزوت، الجزائر، د ط، د ت، ص15.

لقد أعطى الشيخ للشريعة حصة الأسد في رسائله، فهو دائم النصح و التوجيه للمريديه، خاصة بقوله: " زينوا كلامي بميزان الشرع" أي يجب عليكم تدارس و تعلم الشريعة الإسلامية، كي لا تغلطوا أو تنحرفوا عن مسار الحق، فالجهل أكيد طريقه الظلال سواءً عن قصد أو بغير قصد. و من هنا نجد رسالته التي تسمى بالرسالة **الشافية** تتضمن عدة مسائل في الشرع أوصى بها أصحابه و مريديه، و هي من الأكثر الرسائل المعروفة لديهم يقول في مقتطف منها:" اعلموا رحمكم الله أن الناس ما خلقوا في هذه الدنيا إلا لعبادة الله تعالى ، و توفية أوامره، و اجتناب نواهيه ، و إن توفية أمر الله و القيام بحقوقه من آكِد الواجبات ، و أعظم التوجيهات إلى الله تعالى ، قضى بذلك حكم المرتبة الإلهية و الشرائع النبوية ، قال سبحانه و تعالى : ﴿ وَ مَا خَلَقتُ الجِنَّ وَ الإنسَ إلاَّ ليعبدون﴾[الذاريات : 56] و قال تعالى : ﴿ أَلَم أَعهَد إلَيكُم يَا بَنِي أَدَمَ أَن لاَّ تَعبُدُوا الشَّيطَانَ إنه لكم عدو مبين ، و أن اعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾[يس : 60-61]،و قال سبحانه و تعالى : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة و أنا ربكم فاعبدون﴾ [الأنبياء: 92]. و قال سبحانه و تعالى : ﴿ و أطيعوا الله و الرسول لعلكم ترحمون﴾ [آل عمران : 132]، و قال سبحانه و تعالى في حق رسوله : ﴿ و إن تطيعوه تهتدوا ﴾[النـور : 54].

و قال عز و جل : ﴿ تلك حدود الله و من يطع الله و رسوله ندخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها و ذلك الفوز العظيم، و من يعص الله و رسوله و يتعد حدوده ندخله نارًا خالدًا فيها وله عذابٌ مهينٌ ﴾[النساء :13-14]. . إلى غير ذلك من الآيات المطردة في الحث على هذا المطلب ".[1] نجد الشيخ أن أول ما بدأ به رسالته هي أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا، لأن الله خلق الخلق لعبادته هو وحده. ثم تدرج بعد ذلك في العبادة و الطاعات، فبدأها حسب التشريع الإسلامي، أي بتوفية أمر الله باتباع ما جاء في القرآن الكريم و السنة الشريفة، فهما الدستوران الأكملان اللذان يرجع إليهما المسلم لمعرفة حقه و واجبه نحو خالقه تعالى و نحو رسوله صلى الله عليه وسلم و نحو نفسه و نحو من حوله، كي لا يَظلم و لا يُظلم. أما الأمر الثاني فهو باجتناب نواهيه

[1] محمد الكبير بن محمد التجاني: مختارات من رسائل الشيخ، ص 17-18.

أي إذا حرم أمر ما في التشريع كالربا مثلا، فيجب أن يبتعد عليه كل البعد ، لأنه أمر نهانا عنه الله و يجب ألا نقوم به، و كذلك حتى الأمور المكروهة فمن الأفضل تركها و اجتنابها، فكل أمر يحدث في نفسك فزع و اضراب ابتعد عنه قدر المستطاع فكل ذلك يبعدك عن الظلال و التيهان و يقوي إيمانك، و يزيدك قربا و محبة من الكريم العظيم.

و قال الشيخ أيضا تتمة للرسالة و التي تطرق فيها أركان الإسلام:" ثم آكد ما يحافظ عليه من أمر الله هو الصلوات الخمس بجميع أحكامها ، و مقتضياتها ، و لوازمها. و هي مضبوطة في كتب الأئمة. فالواجب لها المحافظة على شروطها المعلومة، و استكمال فرائضها المشهورة، و تثقيل هيئتها في الركوع و السجود على الحد الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخبر الصحيح بقوله صلى الله عليه وسلم : ‹‹ ... ثم تركع حتى تطمئن راكعًا ، ثم ترفع حتى تستوي قائما ، ثم تسجد حتى تطمئن ساجدا ، ثم ترفع حتى تستوي جالسا، ثم تسجد حتى تطمئن ساجدا ..››. و قال ﷺ: ‹‹ و أفعل ذلك في صلاتك كلها ››.

فالحذر الحذر من وقوع الخلل في صحة الصلاة . فإن الصلاة في الإيمان، و أعمال الإيمان بمثابة الروح من الجسد ، إذا وجدت الروح وجدت حياة الجسد ، و إن فقدت الروح منه فقدت الحياة .

ثم بعد الصلاة، المحافظة على صوم رمضان بتكميل شروط صيامه ، و كف النفس عن اقتحام المحرمات في ليله و نهاره ، فإن حرمته في الشرع لا يجهلها إلا جاهل . و ليحذر الإفطار بالعيش الحرام فإنه مضر بالدين.

و عليكم بالمحافظة على أداء زكاة الأموال، و الاعتناء بها ، و حفظ نظامها، و تكميل شروطها بتمامها، على الحد المحدود في كتب الفروع المبسوطة ." [1]

[1] محمد الكبير التجاني :مختارات من رسائل الشيخ، ص 18-20-21-22.

ثم انتقل الشيخ بعد ذلك إلى أركان الإسلام، بأن حثهم أولا على الصلاة فهي عماد الدين و هي أول شيء يحاسَب عليه المرء يوم القيامة، فمن أقامها بكل شروطها فقد فاز الفوز الأعظم، و من شروطها النية الصادقة و طهارة القلب و البدن و المكان، و التثقيل في الصلاة أثناء أدائها بعطاء كل ركعة و كل سجدة حقهما في الخشوع و التأني، و كذلك بإقامة الصلوات في أوقاتها و عدم التكاسل و التباطؤ في أدائها. ثم انتقل إلى الصوم الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: ‹‹ قَالَ اللَّهُ : كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إلا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ››، أي أن الصيام يكون صياما خالصاً لله تعالى، بأن يكون الصوم على الشراب و الأكل و الصوم على المحرمات ليلاً و نهاراً، لأن مجاهدة النفس في الصوم يعود المسلم على التخلي عن كثير من الأشياء المضرة و السيئة التي كان يفعلها كترك التدخين مثلا' و ليس هذا فحسب فجزاء الصوم عظيم، قال صلى الله عليه وسلم:‹‹ فمن صام رمضان إيمانا و احتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر››، و كل ذلك يزيد في القربة من الله عزّ و جل. أما الأمر الثالث فهو متعلق بالزكاة، بأن توفَّى شروطها و حفظ نظامها، بأن تعطى في وقتها و بالقدر المعلوم دون انقاص منها، لأن الزكاة بركة للعبد و تزكية للمال، و بأدائها تفلح في الدارين، خاصة أن الزكاة عبادة تختلف عن باقي العبادات، و قليل من يعطيها حقها و يؤديها كما يجب.

و في رسالة أخرى أرسلها الشيخ إلى تلاميذه ينصحهم بالمحافظة على الشرع في المعاملات يقول فيها:" و أوصيكم في معاملة الأسواق على محافظة قواعد الشرع و أصوله، على حسب ما يعطيه الوقت. و تجنبوا جميع وجوه الغش و التدليس و الكذب في تقويم الأثمان، و اقتحام ما حرم الله من ذلك في بنصوص الشرع. فإن المنهمك في ذلك يهلك كل الهلاك... و أحذركم أن تتهافتوا في المعاملات المحرمات شرعا تهافت الجهلة من العامة، محتجين بعدم وجود الحلال المعين، يريدون أن يسقطوا عنهم الأحكام الشرعية في المعاملات، فقد صاروا في ذلك كأنهم لا تكليف عليهم، و هو كذب على الله و زور.

فقد قال سبحانه و تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾[البقرة168] "[1] فالشيخ في هذه الرسالة أوصى تلاميذه باجتناب الغش و التدليس و الكذب في المعاملات التجارية، سواء بزيادة في الأسعار للمنتوج، أو بيع منتوج رديء أو منتهي الصلاحية، أو أن يبيع عقارًا ليس ملكًا له، أو أن يتحايل مع من تتعامل معه خاصة في حالات البيع و الشراء، لأن كل تلك الأشياء تقربك من الشيطان –و العياذ بالله– و تقسّي القلوب، و كل هذه الصفات ليست من صفات المسلم، و الشرع حرمها جملة و تفصيلا. و قد نهى الشيخ كذلك عن عملين خبيثين، و نتائجهما وخيمة على المجتمع، فالأولى هي تزوير المعاملات أو الوثائق مثلا، و الثانية شهادة الزور فكلاهما محرمان قطعاً، و يؤديان إلى إبطال حق أو تحقيق باطل، و هذا سبب إنكار المعاملات التي تفسد القلوب و تنشر العداوة و البغضاء بين الناس، و تعدم الثقة بين الناس، و كل هذه المعاملات ليس من صفات المسلم، لذلك يجب عليكم أن تتجنبوا ما أمليته عليكم من ذنوب و محرمات، و سعي إلى إتباع الشرع لأنه هو المرجع و هو الأساس لكل التعاملات.

في رسالة أخرى بعث بها إلى بعض طلبته متحدثًا عن فقه المعاملات أيضاً، يقول فيها:

" ... مما أوصيك به: ترك المحرمات المالية شرعا، أكلاً، و لبساً، و مسكناً، فإن الحلال هو القطب الذي تدور عليه أفلاك سائر العبادات، و من ضيعه ضيع فائدة العبادة. و إياك أن تقول أين تجده، فإنه كثير الوجود في كل أرض و في كل زمان. لكن يوجد بالبحث عن توفية أمر الله ظاهراً أو باطناً و مراعاة ضرورة الوقت، إن لم يوجد الحلال الصريح ، و هذا المحل يحتاج إلى فقه دقيق، و اتساع معرفة بالأحكام الشرعية، و من كان هكذا لم يصعب عليه وجود الحلال."[2] أما في هذه الرسالة فقد تحدث الشيخ على ثنائية الحلال و الحرام، في رسالته ذكر الحلال و دعا إلى البحث عنه و ملازمته في كل الأحوال، في المقابل كي

[1] المرجع السابق: ص 40–41.

[2] المرجع السابق: ص 99–100.

نصل للحلال يجب تجنب الحرام، فكل العبادات تدور في فلكي الحلال و الحرام. و الشيخ هنا طلب من طلبته البحث عن الحلال في الظاهر، لكن كمعنى باطني للرسالة هو يدعوهم بتعلم الفقه و الأحكام الشرعية التي يجب على كل مسلم أن يكون عالما بها، هكذا كي يتجنب الوقوع في الحرام، خاصة الوقوع فيه سهوًا و دون دراية. هنا يسهل على كل واحد معرفة مواطن الحلال باقتفائها، و الابتعاد عن المحرمات عند ظهورها.

5- الكشف و المشاهدة و الفتح:

يعرفها عبد المنعم الحفني في معجمه قائلاً : "هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً "[1] .

إذن قصد الصّوفية بالكشف هو إطلاع الله عبده على بعض أسراره، وإنكشافها له.

وقال الطوسي : "من لم يعمل فيما بينه وبين الله تعالى بالتقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة "[2]. يقول القشيري : "فالمحاضرة حضور القلب، وقد يكون بتواتر البرهان وهو بعد وراء الستر، وإن كان حاضرا بإستيلاء وسلطان الذكر، ثم بعده المكاشفة وهو حضوره بنعت البيان غير مفتقر في هذه الحالة إلى تأمل الدليل وتطلب السبيل ولا مستجير من دواعي الرّيب ولا محجوب من نعت الغيب ... فصاحب المحاضرة مربوطٌ بآياته، وصاحب المكاشفة مبسوط بصفاتك. "[3].

و في هذا قال الشيخ أحمد التجّاني- و هو يسمي الكشف بالفتح-:" اعلم أنّ ماء الغيب الذي أشار إلى التطهير به، هو الفيض الأكبر من حضرة القدس التي هي حضرة اللاهوت، و يعبر هنه عند العارفين بالفتح، فإن تسميته بالفتح فيه تسامح، فإن الفتح هو زوال الحجب الحائلة بين العبد و بين حضرة القدس، و هي مائة ألف حجاب، و خمس و ستون ألف

[1] عبد المنعم الحفني : معجم مصطلحات الصّوفية، ص 225.
[2] الطوسي – اللمع. ص422.
[3] القشيري – الرّسالة . ص70.

حجاب، و زوال هذه الحجب بأسرها هو الفتح، لأنه فتح عن انغلاق ".[1] أي الكشف هنا هو رؤية ما وراء الغيب، و كشف الأسرار أمام الولي و هو في حالة غياب عن الوعي، يكون حاضرا بقلبه فقط بعقله.

و يقول أيضا:" ... و متى وصل إلى محبة الذات، أعني أنه يشم رائحة منها فقد انتقل إلى الفناء، مرتبة بعد مرتبة، فيكون أمره أولا ذهولا عن الأكوان، ثم سكرًا، ثم غيبة و فناء، مع شعوره بالفناء، ثم إلى فناء الفناء، و هو أنه لم يحس بشيء شعوراً و تهمّماً و حسّا و اعتبارا، و غاب عقله و وهمه، و انسحق عدده و كمه، فلم يبق إلا الحق بالحق للحق في الحق، و هو مقام الفتح و البداية، يعني بداية المعرفة، و صاحبه إذا أفاق من سكرته يأخذ في الترقي و الصعود في المقامات إلى أبد الأبد بلا نهاية".[2] و هنا تحدث الشيخ عن الترقي في الأحوال و ترقي في الحبة الإلهية، إلى أن وصل إلى الترقي في المقامات، فالولي لا يصل إلى هذا المقام إلا بالتدرج، فمقام الكشف من أرقى المقامات التي يكون فيها صاحبها في حالة سكر و حالة لا وعي، فأول درجة هي درجة المعرفة ثم يرتقي بعد ذلك إلا مالا نهاية من المقامات.

أما فيما يخص المشاهدة فقد قال فيها الشيخ:" (...) و غاية المشاهدة: ينمحق الغير و الغيرية، فليس إلا الحق بالحق في الحق، للحق عن الحق، فلا عِلْم و لا رسم، و لا عقل، و لا وهم ولا خيال، ولا كيفية ولا كمية و لا نسبية، انتفت الغيرية كلها، فلا يزال كذلك مصطلما، حتى ينتقل إلى الصحو، و هو في ذلك الحال يقيم بقيام الحقِّية و الخَلْقية، بتأييد إلهي لا شعور له بشيء من ذلك، فإذا انتقل إلى الصحو، تسميه الصوفية الحياة بعد الموت، و هو معرفة المراتب الحقِّية و الخَلْقية، و تمييز خواصها و أحوالها و مراتبها، و ما في كل مرتبة من الأحكام و اللوازم و المقتضيات، فيقيم حقوق الله في جميعها، فهو الصديق

[1] علي حرازم: جواهر المعاني و بلوغ الأماني، ص 507.

[2] المرجع السابق: ص 307.

الأكبر".[1] إن مرتبة المشاهدة هي مرتبة يكون فيها العارف بالله مترفع عن كل ما حوله، و يكون حال غياب تام، لا مكان، لا زمان، ولا ذات، كلها تحت أمر الحق و بتأييد منه تعالى، و هنا يكشف عنه الحجاب، و يكون في عالم آخر عما كان فيه مسبقا، هذه درجة ينالها أخصّ الخواص، و عند عودته إلى وعييه بعد غيابه، فكأنما عاد إلى الحياة بعد الموت.

المبحث الثاني: الولاية و مضامين الأخلاق.

6-الولايـــــة:

خصَّ القشيري مفهوم الولاية بمعنيين: "الوليّ لها معنيان. أحدهما فعيل بمعنى مفعول، وهو من يتولَّى الله سبحانه أمره. قال تعالى ﴿وهو يتولَّى الصّالحين﴾ فلا يكله إلى نفسه لحظة، بل يتولّى الحق سبحانه رعايته. والثاني فعيل مبالغة من الفاعل وهو الذي يتوالى عبادة الله وطاعته، فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان، وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولّي وليّاً... و من شرط الوليّ أن يكون محفوظاً كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً. وكلّ من كان للشرع عليه اِعتراض فهو مغرور مخدوع "[2].

المعنى الأوَّل للوليّ هو الرِّعاية، أمّا المعنى الثاني هو توالي العبادة من المؤمن دون عصيان. ونلمس في آخر النص احترازا، فالقشيري يحذِّر من مخالفة الشرع والاعتراض عليه، أي أنّ هناك من غرّته ولايته فذهب معارضاً لبعض الشرع متعاليا عليه. أو خاف من أن تغرّ أحد السالكين عبادته، فيغتر بوصوله مرتبة الولاية فينتكص على عقبيه.

ومن التعاريف التي حادت عن الجادّة، التعريف الذي قاله أيمن حمدي في قاموس مصطلحات الصّوفية: "الوليّ هو من تولّى الله أمره بالخصوصية مع مشاهدة أفعال الحق

[1] المرجع السابق، ص 460.
[2] القشيري : الرسالة، ج2، ص178.

سبحانه وصفاته، وقد يجهل الوليّ شيئاً من أحكام الشريعة المطلوبة في حقّة ولا يعرفها إلاّ بالتعلم والسّؤال، ولا تُفاض من غير تعلّم إلاّ على النادر من العارفين. ولا يُحاط بمعرفة أحكام الشريعة وجميع العلوم التي يحتاج إليها الناس إلاّ الفرد الجامع لأنه هو الحامل للشرط في كل عصر ولو كان أُمّياً لم تسبق له القراءة "[1].

وأفهم من كلامه أن الأولياء على طبقتين: طبقة يجوز في حقها النقصان في العلم، ويدركون ذلك النقص بالتعلم والسّؤال. وطبقة أرقى منها ويمثلها الفرد الجامع الذي لا يجوز في حقه النقصان في العلم، فهو الذي أحاط بكل علم شرعياً أم دنيوياً. والكلام الذي قاله عجيب غريب لا يقبله العقل السَّليم. علاوة على أنه لم يسنده بدليل أو برهان، وهذا الكلام فاسد لأنه يرفع الوليّ على النبي، فالنبي لا يعرف كل علوم الدنيا، وحادثة التأبير في المدينة لأول عام قدم فيه النبي صلى الله عليه وسلم إليها دليل على ذلك. وحادثة الخضر مع موسى عليه السّلام تؤكد عدم علم الأنبياء بكل شيء، فكيف بالوليّ أن يعلم كل العلوم!

لقد تكلم الشيخ عن هذا الموضوع في رسالته التي بعث بها إلى الشيخ محمد بن سليمان المناعي التونسي، قال فيها بعد البسملة و الصلاة على خير الأنام رسولنا صلى الله عليه وسلم :" ... إن أحوال الأولياء لا تجري على قانون واحد، و لا في سبيل واحد، و لا حيث كل ما أرادوا. بل الأمر في ذلك موكول إلى الله، جارٍ على قانون مشيئته. فما قام ولي في أمر باختياره، و لا تصرف ولي في شيء بأمره و إرادته. بل ذلك كله جارٍ على حكم مشيئة الله تعالى، فإنه هو الفاعل لما يريد. فكم من ولي يجري في إظهار الكرامات على القانون الذي تعلمه العامة حيث شاء و كيف شاء. و كم من ولي عظيم القدر، عالي المقام، قد أدبر عن الكون بالله بحيث أن لا علم له بكل ما سوى الله، فإذا أراد التصرف و إظهار الكرامة على حد ما هو معروف للأولياء، منع من ذلك بحكم مشيئة الله، لأمر يعلمه الله لا يعلمه غيره.

[1] أيمن حمدي – قاموس مصطلحات الصّوفية. ص96.

قال الجنيد:" لقد مشى باليقين رجال على الماء، و مات بالعطش رجال أفضل منهم"."[1] في هذه الرسالة أجاب الشيخ أحمد التّجاني الشيخ المرسل له عن سؤاله عن تصرفات الأولياء، و هنا أجاب الشيخ أن أي شيء يحدث للولي، أو أي أمر يفعله، أو أي كرامة يرزق بها، كلها من مصدر واحد و تحت مشيئة واحدة، مشيئة الخالق جل في علاه، حيث هو المعطي و هو المانع، هو الميسر و هو المعسر. أما من ناحية المقامات العلى و المراتب، فكل حسب مرتبته، فالمرتبة ليست شرطًا ليكون الولي أعلى من الآخر، أي أن ما يناله يكون حسب مرتبته، أو حسب تقاه أو حسب عقيدته، فكل هذه الأشياء يمنحها الله الوهاب العظيم بإرادته هو، فهنا نعيد مقوله الجنيد التي ذكرها الشيخ في رسالته و التي تلخص كل ما قلناه، يقول فيها:‹‹ لقد مشى باليقين رجال على الماء، و مات بالعطش رجال أفضل منهم››، أي أن الشيخ أراد أن تنصح من رساله أن توكل على الله، و ارضى بمشيئته، و اسعى لأن تنال أعلى المراتب، بالطاعات و القربات، و لكن رغم كل هذا لا تأمن مكر الله، لأن على قدر المقام يكون الاختبار فعليك: بالصبر و التوكل و الرضا.

و معنى قول الجنيد: أن الكرامة ليست دليلاً على أفضلية الولي على ولي آخر، فقد يكون وليًا في مرتبة دنيا و لكن الله يظهر على يديه كرامة، و ولي آخر أفضل منه و لكن لا تظهر على يديه تلك الكرامة.

و مما ذكره الشيخ في الولاية أيضا:"... لأن الأولياء الذين يذكرهم لك، غرقى في بحار اليقين و التوحيد بين يدي الله الحق سبحانه و تعالى، لا يخطر في قلوبهم غيره، ولا يلتفتون لغيره في كل حركة و سكون، لأن أصحاب هذه المرتبة أصحاب عناية عظيمة من الحق بهم، لا يتركهم فارغين، بل يسوق إليهم الأموال من كل جهة، على رضا الخلق أو الكره منهم، و مع ذلك فهم على بصيرة من الحق سبحانه و تعالى، يعلمون منه لغامض العلم اللّدني الذي وهبه الله لهم، أنّ كلّ ما يحب منهم فرْغهم من الدنيا و تفريقهما عنهم، و يهب

[1] علي حرازم: جواهر المعاني و بلوغ الأماني، ص 677-678.

لهم من قوة الصبر و الرضا و اليقين، عندما تشتد بهم الحاجة إلى المال في نوائب الدهر و صروفه، حتى لا يحس بألم ذلك الاحتياج".[1] إن الشيخ في هذه الرسالة تحدث عن المقام العالي الذي حازه الأولياء دون غيرهم من العامة، و أن أجرهم في ذلك هو أنه لا يلتفتون بقلوبهم لغير الله عزّ و جل، و أن أمور الدنيا تصرف لهم منه سبحانه دون و تعب و لا اكتراث لأمور الدنيا، و هم في ذلك على دراية بما يدور من حولهم، و يعلمون كل العلم أن هذه الأمور جارية على يدي الله عليهم، و أن هذا الأمر مُساقٌ إليهم كي لا يلتفت الولي لملهيات الدنيا، و كي لا يشعر بالاحتياج، لأن المقام الذي وصل إليهم أغناه عن كل ما سوى الله العالي القدير.

هذه رسالة بعث بها الشيخ إلى بعض أحبابه جاء فيها:"(...) إن الخواص بحر الطمع، المتعلق بها كالذي يريد الظّفر بسراب بقيعة، إنما الخواص و أسرارها، لا يتمكن منها أحد من خلق الله إلا أحد الرجلين: إما رجل ظفر بالولاية، و إما رجل جعل أكثر أوقاته في ذكر الله، و في صحة التّوجه إليه سبحانه و تعالى، و في الصلاة على نبيّه صلى الله عليه وسلم طلبًا لوجه الله الكريم لا لغرض غير ذلك، و دَاوَمَ على هذا المنوال، و صان لسانه عن الأقاويل التي لا ترضي الله شرعا، (...) و صان قلبه عمّا لا يرضي الله، و هو في هذا كله قائم لله تعالى. فهذا هو الذي لعله يدرك بعض أسرار الخواص، و من سوى هذين الأمرين لا يفيده التعلق بالخواص سوى التعب".[2] تطرق الشيخ هنا في هذا المقطع من الرسالة على كيفية حيازة الولاية و هما نوعان: فالنوع الأول هبة خالصة من الله تعالى نحو عبده، يكرمه بالولاية على نحو هبة ربانية، أما الأمر الثاني الذي وضحه الشيخ هنا أن تكون مكتسبة، أي أن يجاز الشخص الدائم تعلق قلبه بالله و كذلك بأفعاله ظاهرها و باطنها، و أن يبتعد عن كل أمر يغضب الله كالنميمة و الكذب و الكبر و ظلم الناس و غيرها من الأفعال

[1] المرجع السابق: ص 668.

[2] المرجع نفسه: ص 656.

المذمومة، و شرط ذلك أيضا أن يلتزم الذكر و يجعل له أوراد لا يتركها و خاصة أن يجعل وردًا خاصًا بالصلاة على نبي الأمة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، و يجب أن لا يغفل لحظة عن الله، وأن لا يتعلق بسواه، فكل هذه الأمور قد تُجِيز له الولاية و قد لا.

7- الأخــلاق و التزكيــة:

إن القرآن الكريم قد عني عناية خاصة متميزة بالجانب الأخلاقي وله في ذلك منهج أصيل يرتبط ارتباطا وثيقا بالجوانب أخرى من الدين كجانب العقيدة و العبادة و المعاملة و العلاقات الأسرية و الاجتماعية و الدولية و غيرها وهذا ما نلحظه في بعض آياته منها : قال تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم 68] و كذلك في قوله تعالى: ﴿ما له في الآخرة من خلاق﴾ [البقرة 200] و غيرها .

إن من أكثر الأشياء التي دعا إليها الصوفية هي الأخلاق أي أن" المتفحص لكتب الصوفية لا يحتاج إلى منبه ينبهه إلى ما فيها من مظاهر الذكاء والعقل والورع في فهم الأخلاق، وأهمية كتب القوم ترجع إلى ما فيها من الإلحاح من إحياء العزيمة، و القلب والتنفير من الإثم الظاهر والإفك الباطن، والدعوة إلى تطهير النفس من الغفلة والرياء".[1] أي أنه بتطهير القلوب تتطهر النفس، و بذلك ترقي النفس بين الأحوال و المقامات لتصل إلى أرقاها.

وعلى غرار الغزالي، يذهب الشيخ أحمد التجاني، في الأخلاق مذهبا متميزا جاعلا منه منهجا يسير عليه كل مريد لطريقته التجانية. الشيخ أحمد التجاني" يربط الأخلاق بالشريعة، فيعتبر أن الخير كله في متابعة السنة الشريفة، والشر كله في مخالفتها".[2]

[1] أبو حامد الغزالي: مكاشفة القلوب، ص 49.

[2] علي حرازم : المرجع السابق، ص65.

يقر شيخ الإسلام بن تيمية بأن التزكية لا تحصل إلا بترك الفواحش و المنكرات و فعل المأمورات، بمتابعة صلى الله عليه و سلم في أقواله، و أعماله، و أخلاقه هي البرهان الصادق على توحيد المتابعة له عليه السلام، و إنّ الإيمان بالله و لوازمه و أركانه و سننه و البعد عن نواقضه كلها طرق تهذب النفس البشرية و تنقيتها .

و لقد حدد ابن تيمية الأمور التي بها تتم تزكية النفس، و لذا قال:" سأتحدث عن أهم الأمور التي تحصل بها تزكية النفس إجمالا و ليس تفصلا وهي: الإيمان و التوحيد و المتابعة لرسول الله صلى الله عليه و سلم، الفرائض و الواجبات و السنن. وهذا هو الطريق الشرعي لتزكية النفس، و ليس كما تزعم الصوفية المنحرفة التي تهرب بالنفس عن واقع الناس، وتتخلى عن الواجبات و السنن، و عن الشرائع و التكاليف، زاعمة أن الخلوات و الكهوف و المفازات و الإغراق في أذكار بديعية: هي طريقة لتصفية النفس و تزكيتها من الرذائل".[1]

و الآن سنتطرق إلى بعض هذه الأنواع منها:

1-الذكـــر:

إن الذكر من أعظم العبادات و أيسرها على المسلم "و هو من أركان السير في طريق الربانية، فلا ربانية بلا ذكر، فالربانية وراثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، و أهم جوانب الوراثة طمأنينة القلب باليقين، ولا وراثة ولا طمأنينة قلب إلا بالذكر كما ذكرنا:[2]

قال تعالى﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[الأحزاب 21] ، و قوله أيضا: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[الرعد 28]

[1] أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني: تزكية النفس ،تحقيق محمد بن سعيد بن سالم القحطاني ،دار مسلم للنشر و التوزيع، الرياض ،ط1 1994م ، ص 15-21-25-27.

[2] سعيد حوى: مذكرات في منازل الصديقين و الربانيين، دار عمار، بيروت، لبنان، ط م، 1989، ص 633.

إن ذكر الله من العبادات العظيمة التي ترضي الخالق، و تطرد الشيطان و تذهب الهم و الغم، وتقوي القلب و البدن و تنزل السكينة عليه، و تزيد إيمانه و توحيده ويسهل عليه الطاعات.

يقول القشيري:" و الذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه وتعالى، بل هو العمدة في هذا الطريق، ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر. والذكر على ضربين :ذكر اللسان، وذكر القلب .فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب و التأثير لذكر القلب، فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه، فهو الكامل في وصفه في حل سلوكه".[1] و عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال:" إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيه فقيل له :وما رياض الجنة؟ فقال :خُلُقُ الذكر".[2]

وردنا في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "سبق المفردون قالوا من المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرا و الذاكرات".[3] وهو ما دل على أهمية الذكر و فضله. وهذا ما أكد عليه أيضا الشيخ" أحمد التجاني" في كل رسائله ، لذلك فان القارئ لرسائله سيلفت نظره مسألة تكاد تكون متكررة في كل رسائله ألا وهي مسألة الذكر، ذكر الله تعالى و الصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم، فلا يفتأ الشيخ يوصي به في سائر حديثه فكأنه روح التصوف وعماده، و لقد غربلنا النصوص الحاثة على الذكر فوجدناها تربو على الحصر نجد قول الشيخ أحمد التجاني:" أوصيكم بالمحافظة على أوقات تتوجهون فيها إلى الله تعالى بالتوجه الصحيح، إما بذكر أو تلاوة قرآن في الصلاة و خارجها، و إما بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم. و أقل ذلك وقتان صباحًا و مساءً، و الأفضل ثلاثة أوقات صباحًا و مساءً و في جوف الليل. و ليجعل

[1] القشيري: الرسالة، ص 195.

[2] المرجع نفسه: ص 196.

[3] محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي الشافعي: الأذكار من كلام سيد الأبرار، الناشر مكتبة نزارا الباز، الرياض، المملكة العربية السعودية، مجلد، ط1، 1997، ص12.

في كل وقت منها ما استطاع من الصلاة على رسول الله ﷺ ".[1] إن أول ما بدأ به نصحه لمريده هو أن يجعل وقتا محددًا لذكره أو لورده المطلوب، شرط أن يكون توجه قلبه لله وحده لا شريك له بخالص النية، يكون ذلك بورد محدد إما ذكر معلوم أو بتلاوة قرآن أو بصيغة للصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ، و يستحسن عند المريد التجاني صيغة "**صلاة الفاتح**"، و ليس هذا فحسب بل أن يكون كذلك لك وقت محدد لتأدية هذا الورد إما وقتين أو بثلاثة أوقات صباحا و يكون من صلاة الفجر إلى وقت الضحى، و مساءً من بعد صلاة العصر حتى وقت صلاة العشاء، و الوقت الثالث يكون في جوف الليل كما هو معلوم. و قد خص هذا الأمر في رسالة أخرى بأن قال:" عليكم بالمحافظة على ذكر الله و الصلاة على نبيه ﷺ ليلاً و نهارًا، على حسب الاستطاعة، و على قدر ما يعطيه الوقت و الطاقة، من غير إفراط ولا تفريط. و اقصدوا بذلك التعظيم و الإجلال لله سبحانه و تعالى و لرسوله ﷺ، و التحلي في ذلك بالوقوف في باب الله طلبًا لمرضاته لا لطلب حظ".[2] أي أنه من التزم بهذه الخطوات فقد حاز عناية عظيمة من المولى عز و جل، و يستشعر حلاوة الإيمان، و تفْرج همومه و ينال الراحة و الطمأنينة و السكينة.

و الآن سنتطرق إلى الأوراد الخاصة بالشيخ التي أملاها على مريديه نقتطف منها:" (...) ثم إنكم بعثتم إلينا طالبين ذكر وردنا، فها أنا أكتبه لكم و هو: **أستغفر الله** مائة مرة، و **صلاة الفاتح لما أغلق** مائة مرة و هي معلومة، ثم بعدها **لا إله إلا الله** مائة. و وقت ذلك بعد صلاة الصبح و بعد صلاة المغرب. و إن قُدم عليها بعد صلاة العصر يكفي".[3] و هذا الورد يسمى بالمعلوم و يذكر مرتين في اليوم كما هو مذكور في الرسالة، أما صيغة صلاة الفاتح فهي" اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، و الخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق،

[1] محمد الكبير التجاني :مختارات من رسائل الشيخ، ص 26-27.

[2] المرجع السابق: ص 60.

[3] المرجع السابق: ص 170.

و الهادي إلى صراطك المستقيم و على آله حق قدره و مقداره العظيم"[1] . أما ترتيب الورد فبدايته الاستغفار، و هي أن يبدأ المريد بتكفير ذنوبه، ثم ينتقل إلى الصلاة على سيد الخلق ﷺ لتطهير النفس و تهذيب اللسان، متدرجًا بعدها إلى توحيد الله جل في علاه، طلبا لرضاه و عفوه و الفوز برحمته الواسعة. و قال أيضا تبعا لتلقينه الأوراد:" و عليكم بملازمة الوظيفة المعلومة لمن استطاع صباحًا و مساءً، و إلا مرة واحدة في الصباح أو المساء فإنها تكفي، و خفِّفِوا من وردها إن ثقُل عليكم، و اجعلوها خمسين من صلاة الفاتح...إلخ، و الاستغفار إن شئتم اذكروا: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ثلاثين مرة، يكفي عن الاستغفار مائة مرة في الوظيفة".[2] هذه صيغة الورد الثاني اليومي للمريد التجاني الذي أملاه عليه شيخه، و يكون إما مرتين أو مرة في اليوم، و يفضل أن يذكر في جماعة. أما الصيغة الكاملة للوظيفة فهي:(أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ثلاثين مرة، صلاة الفاتح...إلخ خمسين مرة، لا إله إلا الله مائة مرة، ثم صلاة الفاتح عشرين مرة، و آخرها يا لطيف مائة و تسع و عشرون مرة). و أما الصيغة الثالثة من صيغ الأوراد التجانية فهي كما يقول الشيخ:" (...) و أما ذكر يوم الجمعة بعد صلاة العصر، إما قدر ساعة أو ساعتين متصلة بالغروب، و هو لا إله إلا الله، فيذكر جماعة لمن وجد الإخوان و إلا فوحده".[3] و يُذكَر يوم الجمع بصيغة **لا إله إلا الله** ألف و مائتان مرة، و يستحب أن يكون ذكرها وسط جماعة، لأن فيها خير كبير. كل هذه الأوراد يلزم بها المريد التجاني عندما يؤذن له بأخذها.

و نجد أيضا وردا كذلك آخر أملاه على عليهم و يكون في أوقات متفرقة من اليوم، حسب القدرة، و حسب الوقت المتاح له، فيقول:" و كذلك وظيفة اليوم و اليل: لا إله إلا الله و الله أكبر، لا إله إلا الله وحده، لا إله إلا الله لا شريك له، لا إله إلا الله له الملك و له الحمد، لا

[1] المرجع السابق: ص ن.

[2] علي حرازم: جواهر المعاني و بلوغ الأماني، ص 640.

[3] محمد الكبير التجاني :مختارات من رسائل الشيخ، ص 232.

إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".[1] إن الشيخ يسعى لتثبيت الذكر و ذلك لتأكيد صفة التوحيد الله عز وجل أي أنه هو الواحد القادر لا شريك له.

إن ذكر الله عز وجل يغفر الذنوب و يقي من عذاب الله، و يزيل الوحشة بين العبد وربه ، و يورث ذكر الله السكينة في القلوب و تغشاهم رحمة الخالق، تحفهم الملائكة ، يرقي الدرجات و يرفعها، و يثبّت الأحوال ،و يورث محبة الله و الأنس به ،و الإنابة إليه و القرب منه، و ذكر الله تعالى يكسب الذاكر قوة و مهابة و ثقة، لذلك أمرنا الله عز وجل بدوام ذكره.

وقد حث الشيخ أحمد التجاني تأكيدًا على الذكر و الصلاة على النبي وهذا ما نجده في قوله مثلا :" و أكبر ذكر الله فائدة و أعظمه جدوى و عائدة هي الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع حضور القلب ، فإنها متكفلة بجميع مطالب الدنيا و الآخرة دفعا وجلبا في كل شيء ، و أن من أكثر استعمالها كان من أكبر أصفياء الله ...والنبي ﷺ يليق به وقته أن يجعل وردين لله تعالى من الصلاة على النبي ﷺ ورد في الليل وورد في النهار في كل ورد من الصلاة على النبي ﷺ خمسمائة مرة في كل ورد ".[2]

قد أكد الشيخ على لزوم حضور القلب أثناء ذكر الله و هذا ما تجسد في قوله:"... و ذلك بالإكثار من ذكر الله على قدر الاستطاعة بحضور قلبك و الإكثار من ذكر الله بالتدرج".[3]

و خلاصة القول أن هذا ما هو إلا مثال من الأمثلة الذكر التي وصفها الشيخ لأهل الطريقة ،و قد وصف الشيخ أن مثل هذا الذكر يغني عن جميع الأوراد (الأذكار) و يبلغ غاية المراد ولا يفي بقدره عمل .

[1] المرجع نفسه: ص 70

[2] علي حرازم: جواهر المعاني و بلوغ الأماني، ص 353-360.

[3] المرجع نفسه: ص 365.

2-التقــوى:

إن من الأكثر السلوكات التي يدعوا إليها الإسلام بصفة عامة، و الصوفية بصفة خاصة هي التقوى. فهي التزام الطاعة لله ولرسوله ﷺ، و تكون باتباع أوامر الله و اجتناب نواهيه، و هي الطريق الموصل لرضا المولى عز و جل و رضا نبيه. وقال ابن الكثير- رحمة الله:" التقوى: اسم جامع لفعل الطاعات و ترك المنكرات". [1] و هذا تعريف عام لمفهومها، أما سهل فيقول:" التقوى مشاهدة الأحوال على قدم الانفراد. معناه أن يُتقى مما سوى الله سكونا إليه و استحلاء له و في قوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن 16]".[2] و يقصد من كلامه هنا أن التقوى حال متبع و مراقب، يرتقي بالدرج و يكون ذلك بتوجه لله دونما و سواه، و يكون حال القلب مطمئننا متلذذاً بذلك. و قال محمد بن سنجان:" التقوى ترك ما دون الله".[3] و لم يبتعد هذا في تعريفه عما سبقه أي أن تتقي الله في السر و العلانية، و تخشاه وحده. و ما يمكن قوله من خلال هذه التعريفات التي سبق ذكرها ان التقوى ما هي إلا إتباع أوامر الله و اجتناب نواهيه و ذلك بفعل الطاعات و ابتعاد عن المعاصي و المنكرات .

من خلال تفحصنا لرسائل الشيخ أحمد التجاني نجد فيها أيضا تأكيده على عنصر التقوى و ذلك لما له أهمية كبرى على الأفراد وهي أيضا تقرب الشخص لله تعالى بإتباع أوامره و اجتناب نواهيه و لنقف عند قوله تعالى:"﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾[آل عمران 102]"

و قد تجسد تأكيده الشيخ أحمد التجاني على التقوى في قوله تعالى:" اعلموا أن التقوى قد صعب مرامها، تناءت بُعدا على أن تمد بيد أحد خطامها و احتكامها، و كلت الهمم دونها، فلا يصل بيد أحد أساسها و احتكامها إلا الفرد الشاذ النادر، لما طبعت عليه القلوب و النفوس من الإدبار عن الله و عن أمره بكل وجه و اعتبار، و وحلها في رتع أحوال البشرية و حلاً لا مطمع

[1] محمد صالح المنجد: التقوى، مجموعة زاد للنشر، المملكة العربية السعودية، ط1، 2009، ص 7-8.

[2] الكلاباذي: كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف، ص 69.

[3] المرجع نفسه: ص ن.

لها في الانفكاك فيه، وهذا حال أهل العصر في كل بلد من كل ما على الأرض إلا الشاذ النادر الذي عصمه الله تعالى".[1] في هذا الكلام يقر الشيخ بأن التقوى صعبت أهدافها و غايتها بحيث لا يستطيع أي شخص كان الوصول اليها إلا الفرد النادر الملتزم بأوامر الله و المعصوم من الوقوع في المحرمات و المنكرات التي نهى الله عز وجل عنها.

و كذلك قوله:" و أوصيكم و إيّاي بتقوى الله، و ارتقاب المؤاخذة منه في الذنوب، فإن لكل ذنب مصيبتين لا يخلو العبد عنهما و المصيبة واحدة في الدنيا وواحدة في الآخرة (...)".[2] أما هنا فالشيخ يوصي بالتقوى الله مقترنا بمراقبة النفس، خاصة أنّ الذنوب إذا كثرت يكون العقاب في الدنيا و الآخرة، و هذا الأمر يتجاوز بالتقوى كل لا يصل المسلم لهذه الحال المهلكة.

و في رسالة أخرى أوصى فيها الشيخ بالتقوى قائلاً :" و أوصيك بتقوى الله في السر و العلانية، و اتباع السنة في كل قاصية و دانية، وشاذة و فاذة في الأقوال و الأفعال، و رضى عن الله في الإقلال و الإكثار، و الإقبال على الله و مراقبته في جميع الأحوال، و الإعراض عن الخلق في الإقبال و الإدبار، و تحكيم السنة في جميع الخطرات، و عليكم بالاستقامة في جميع الحركات و السكنات".[3] و هو الشيخ أوصى بأن يكون خلق التقوى سراً و علانية، و أن تكون متوجه لله في كل أعمالك، منتهجاً منهج الشريعة السمحاء، التي هي الطريق المستقيم التي توضح كيفية سلوكك منهجك القويم.

3-العفــو:

لقد أدى تعدد دلالات العفو في فقه اللغة العربية إلى تباين معناه باختلاف السياق الذي وظفت فيه عبارة العفو".[4] و نجد أيضا " كلمة العفو مشتقة من عفا يعفو عفوا و هو من أبنية

[1] محمد الكبير التجاني :مختارات من رسائل الشيخ، ص 50.

[2] علي حرازم: جواهر المعاني و بلوغ الأماني، ص 635.

[3] محمد الكبير التجاني :مختارات من رسائل الشيخ، ص 163.

[4] ينظر: مجد الدين أبو طاهر محمد يعقوب، الفيروز أبادي: قاموس المحيط ، مؤسسة الطباعة و النشر بيروت، لبنان، ط8 ،2005م ،ص 1213.

المبالغة ،و يقصد بها التجاوز عن الذنب و ترك العقاب عليه ومنها عفو الله عز وجل عن خلقه وترك عقوبة الجاني المستحق و يقال: عفا عنه، عفى بمعنى عدم اللزوم".[1]

و من الآيات التي تدل على وجوب العفو نجد، قوله تعالى:﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾[البقرة109]، و قوله أيضا: ﴿وَأَنْ تَعْفُوَا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾[البقرة237].

ولقد أكد الشيخ أحمد التجاني على أهمية العفو وبيان مكانته وهذا ما نلمسه في قوله :" فالوجه الأعلى الذي تقتضيه رسوم العلم مقابلتهم بالإحسان في إساءتهم، فإن لم يقدر فبصفح و العفو عنهم إطفاء نيران الفتنة(...) أن يعفو الإخوان عن الزلل، و إن يبسط رداد عفوه على كل خلل".[2] إذ ما يفهم من هذا القول الذي بين أيدينا أن الشيخ يصر عل العفو عن الزلل لمن أخطأ و أساء و ذلك بمقابلة أخطائهم و إساءاتهم بالإحسان، و ذلك تجنبا لانتشار الفتن و المصائب، لأن العفو عن الخلل هو الوجه الأمثل الذي يقتضيه كل علم .

كما نلمس أيضا قول الشيخ في حثه عن العفو في قوله:" و أكثروا العفو عن الزلل، و الصفح عن الخلل لكل مؤمن، و آكد ذلك لمن واخاكم في الطريقة في الطريقة، فإن من عفا عن زلة، عفا الله له عن زلات كثيرة، و من وقع فيكم بزلة ثم جاءكم معتذرا، فاقبلوا عذره و سامحوه، لكي يقبل الله أعذاركم و يسامحكم في زلاتكم، فإن أشر الإخوان عند الله من لا يقبل عذرًا، ولا يقيل عثرة ".[3] أصر الشيخ هنا على مريديه أن يعفوا عن إخوانهم، سواء أجاءكم معتذرا أم لا، لأن من يعفوا عن إخوانه، يجازى بعوف من الله تعالى، و نجد في قوله سبحانه و تعالى: قوله تعالى:﴿ سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾[آل عمران133]، و قوله أيضا: :﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[آل عمران134]

[1] جمال الدين بن مكرم بن المنظور، لسان العرب، المجلد 15، دار صادر ، بيروت – لبنان –1997م، ص 72

[2] علي حرازم: جواهر المعاني و بلوغ الأماني، ص 351–352.

[3] المرجع نفسه: ص 639.

ما نستنتجه من خلال دراستنا للعفو أن الشيخ" أحمد التجاني" أكد على أهمية العفو حيث أوصى به في أغلب رسائله ، و هذا لما للعفو من فضائل عديدة و شاملة منها مخافة الله والتي تدفع صاحبها للقيام بكل الأعمال الصالحة التي أمر الله تبارك وتعالى بها و ترك الأعمال السيئة التي نهى الله عنها وبذلك تخلق روح المحبة و التسامح بين أفراد المجتمع.

خاتـــمة

خاتمـــــــة

و في آخر بحثنا هذا، و بعد طرقنا لموضوع: حضور التصوف في رسائل الشيخ أحمد التجاني، خلصنا إلى عدة نتائج أهمها:

1- ظهر فن الترسل عند العرب في عصر صدر الإسلام و كانت الرسائل بسيطة و متشابهة، ثم بدأ تتضح معالمه و تبرز كفن قائم بذاته في العصر الأموي مع ظهور الدواوين و التدوين، أما في العصر العباسي ابتعدت الرسائل في شكلها عن التصنع و الزخرفة، و طرأت عليها مصطلحات جديدة.

2- امتازت الرسائل عند الشيخ أحمد التجَاني بأغراض متنوعة، لأنه يخاطب فئات متفرقة من المجتمع، كل حسب فكره و حسب مكانته، فنجدها كالتالي: رسائل ذات غرض تربوي، و رسائل ذات غرض علمي تعليمي، و رسائل ذات غرض اجتماعي، و رسائل ذات غرض سياسي، و رسائل ذات غرض اقتصادي.

3-إن التصوف كفكرة موجودة منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم، لكن الإشكال يكمن هنا في التصوف كمصطلح، فالمصطلح هو المحدث لا الفكر.

4- منذ ظهور فكرة التصوف إلى الآن، لم يُحَدّد مفهوم واحد له، و هي اختلاف صعب على الدارسين تناول هذا الموضوع من توجه واحد.

5- إن سبب الأساسي الذي جعل للتصوف عدة المفاهيم متفرقة، هو أصل التسمية، لأن المسميات كثيرة، و فمنهم من ربطها بالصوف، و منهم من ربطها بصفوة الناس، و القائمة طويلة.

- لكن سبب حسب رأيي أن التصوف أكبر و أوسع و أشمل من أن تحصره في شيء محدد، خاصة أن لبس الصوف ليس مشترط لديهم، فهو فكر و توجه روحاني أكبر منهم مصطلح ارتبطت بفئة ما دون أخرى.

6- مرّ التصوف بعدة مراحل في تطوره، و كانت أول بذرة له عي الزهد.

7- للتصوف عدة أنواع و هي التصوف السني، التصوف الفلسفي و التصوف الطرقي، و هذا الأخير يكون مقترن بالجماعة تجمعهم طريقة واحدة، في المقابل كل من التصوف السني و التصوف الفلسفي، يكون كأفراد متفرقة كل حسب توجهه.

8- إن فكرة الحب الإلهي ظهرت مع رابعة العدوية، في أول من جاءت بهذا المصطلح، و تغنت به في أشعارها، ففكرة الحب الإلهي تبناها جُلُّ المتصوفة و كانت ملاذا لهم، و من بين الصوفية الذين تبنوا هذه الفكرة نجد الشيخ أحمد التجاني، فهو دائما يدعو للتعلق بالله ارضاءً و حبًا له، لا طمعًا في جزائه، أو خوفًا من عقابه.

9-أما فكرة النور المحمدي فقد ارتبطت بالحلاج، و هذا التوجه كذلك تبناه أغلب المتصوفة، ففكرة النور المحمدي تتمثل في أن أول ما خلق في الدنيا هو نور سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، و بنوره خلق الله الكون بما فيه، رغم أن هذه الفكرة لاقت معارضة شديدة من عدة أطراف، إلا أن الصوفية دافعوا عن فحوى الفكرة، و دعموها، و الشيخ أحمد التجاني أبرز من دافع فن الفكرة كان ذلك في رسائله.

10- إن الأحوال عند الصوفية تكون بالترقي من حال إلى حال، و من مقام إلى مقام، إلا أنّ الحال متغير، و المقام ثابت، و إن من أبرز الأحوال و المقامات التي تضمنتها رسائله هي: التوبة، الصبر، الزهد، التوكل، الرضا و غيرها، و يكون ذلك بالتدرج فيما بينهم، فكل واحدة توصل إلى ما بعدها، و هكذا يترقى المريد بين الأحوال إلى أن تصبح مقامات.

11- إنَّ نهج الشيخ أحمد التجاني لا يخرج عن ميزان الشرع، حيث أكّد ذلك بمقولته المشهورة و التي قال فيها:" إذا سمعتم عني شيئًا فزنوه بميزان الشرع، فإن وافق فاعملوا به، و إنْ خالف فاتركوه". و دعا الشيخ مريديه باقتفاء الشريعة و السير على نهجها، و تعلمها، فبتعلم الشرع و ما فيه يبعد المريد من أن يحيد عن طريق الحق إلى الظلال، لأن علمها بها هو الحصن الحصين له من كل دخيل.

12- إن الشيخ أحمد التجاني يحث مريديه دائما على الصلاة، باستيفاء شروطها . و كذلك بعدم هتك حرمة رمضان، و اتمام شروط صومه على أكمل وجه. و أن يعطي الفقراء حقهم من الزكاة، و كذلك حثهم على الصدقة، و كذلك مساعدة الضعفاء و عدم استغلال ضعفهم و قلة حيلتهم.

13- أكثر الشيخ أحمد التجاني في رسائله من مضمون "الذكر"، و كأن هذا الأخير هو عماد الطرق الصوفية، فلقد تفنَّنَ في الكلام عليه، فذكر أوقاته، و صيغه، و فضله، و أثره في النفس.

14- أوصى الشيخ أحمد التجاني بتقوى الله في الظاهر و الباطن، لأنها هي المنجية من الهلاك، و لأن التقوى من أهم الأعمدة و الركائز التي ينتهجها المريد للأمن من مكر الله، و ضمان السلامة من شرور الدنيا.

15- و أوصى الشيخ كذلك بالعفو عن الزلل، و الصفح عن الخلل، لأن ذلك يولد الراحة و السكينة للنفس، و يبعد العداوة و البغضاء بين الأفراد، فالعفو يلين القلوب و يشرح النفوس، و هذا ما يجب أن يتحل به كل مريد.

16- أشار الشيخ أحمد التجّاني في رسائله إلى تعظيم حرمة الأولياء، الأحياء منهم و الأموات، حيث قال:" إنّ من عظّم حرمتهم عظم الله حرمته، و من أهانهم أذله الله و غضب عليه، فلا تستهينوا بحرمة الأولياء".

17- الشيخ أحمد التجاني كان مقلدًا سلفه الصوفية في كل رسائله، فالمضامين نفسها التي جاء بها القشيري و ابن عربي و الحلاج و غيرهم، و قد كان أقرب للصوفية الأوائل منه للمتصوفة الفلاسفة.

الملحـــق

تعريف الشيخ أحمد التجّاني:

1- **مولـده:** "هو أبوّ العباس أحمد بن محمد ولد سنة 1150هـ/1737م بقرية عين ماضي بولاية الأغواط من الجنوب الجزائري، نشأ بها حيث اشتغل بحفظ القرآن الكريم ، وأتمه وهو في سن السابعة. وكان معلمه آنذاك الشيخ عيسى بوعكاز الماضوي التجاني، كما اشتغل بطلب العلوم الأصولية والفرعية والأدبية، فقرأ على يد الشيخ بن أبي العافية الماضوي التجاني فقرأ عليه مختصر الشيخ الجليل، الرسالة مقدمة ابن رشد، وديوان الأخضري وغيرها، بعدها مال إلى طريق الصوفية والبحث عن الأسرار الإلهية ".[1]

كان أسلافه منتسبين لأهل العلم و مشهورين بالتُّقى و الصَلاح، و يصعد نسبه الأبوي إلى سيدنا الحسن بن الإمام علي- كرم الله وجهه-، حفيد النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من ابنته السيدة فاطمة الزهراء. أما أمه فهي السيدة عائشة بنت محمّد السنوسي التّجاني الماضوي، نسبة إلى قبيلة بنو توجين التي أعطت اسمها للشّيخ الذي أصبح يعرف به (التجّانـي).

2- **نشأتــه:**" نشأ الشيخ في بيئة مفعمة بالورع و القيم، كثيرة العلماء، بل كانت مدينته آنذاك عين ماضي، مركز المعرفة والولاية والصلاح." ولقد نشأ في كنف والدين صالحين يؤدبانه و يربيانه على العفاف و صيانة و ثقة و ديانة، أبي النفس عالي الهمة زكي الأخلاق، مبتعد على ما اعتاد عليه الناس"[2]. كان" أبوه على مستوى رفيع من علمي الظاهر والباطن، وهو محمد بن مختار، فقد كان حجة العلماء العاملين، وحجة السالكين المسترشدين، أما والدته فهي السيدة الفاضلة عائشة بنت الولي الجليل محمد السنوسي

[1] علي حرازم: جواهر المعاني و بلوغ الأماني، ص 96-97.
[2] المرجع نفسه: ص 103.

التجاني الماضوي، عرفت بالأخلاق الكريمة، و الصلاح و المكانة و المراتب الرفيعة ".[1] فقد نشأ الشيخ في بيئة كنزها العلم و المعرفة و الصلاح، زاخرة بعلمائها مما جعله مقبلا على الجد والاجتهاد متمسكا بالدين وسنة المهتدين.

3- **وفاتـــه:** "و كانت وفاته بفاس صبيحة الخميس 17 شوال1230هـ/21سبتمبر1815م، و كانت جنازته جزازة عظيمة، خرج فيها العلماء و الصلحاء و جميع أهل فاس، و صلى عليه الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم الدكالي، و له يومئذ ثمانون سنة، و دفن بزاويته الكبرى بفاس. خلف بعده ولدان: سيدي محمد الكبير(18سنة)، و سيدي محمد الحبيب(15سنة)، و كل عقب الشيخ منه".[2]

4- مؤلفـاتــه: "ولقد خلف الشيخ ورائه مجموعة من الرسائل الهامة والمتنوعة، كما ترك شرحا لقصيدة الهمزية للبصيري، ومؤلفين جمعا بين دفتيهما ما فاض عنه من علوم ومعارف: الأول بعنوان جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس أحمد التجاني، وكان من إملائه على تلميذه علي حرازم برادة، أما الثاني فبعنوان الجامع لدرر العلوم الفائضة عن القطب المكتوم وقد أملاه على تلميذه محمد بالمشري، وقد حوي هذين المؤلفين أهم آرائه الصوفية، وتفسيره للقرآن الكريم والأحاديث النبوية".[3]

- **<u>التعريف بالطريقة التجانية</u>:**

تعتبر الطريقة التجانية " منهج تربوي: قولي و عملي، تهتم بتربية الإنسان من حيث روحه و عقله و جسمه، و تعتمد على القرين الكريم، و السنة النبوية المطهرة، و أعمال الصحابة رضوان الله عليهم، في كل ما تحتاج إليه في العقائد، و الفقه، و التربية بجميع أنواعها، و

[1] المرجع نفسه: ص 98.

[2] السعيد ديدي: الشيخ سيدي أحمد التجاني-200 سنة على وفاته- مكتبة الريحان، الوادي، الجزائر، ط1، 2010، ص 25.

[3] عبد الرحمان طالب، الشيخ سيدي أحمد التجاني ومنهاجه في التفسير والفتوى التربية، انجاز الجمعية الثقافية، الوادي، الجزائر، ط2، 2000، ص 80.

التجانيون ينتسبون للمذهب السائد في بلدهم، فهم مالكيون في البلدان التي تعتمد المذهب المالكي، و هكذا المذهب الشافعي و الحنبلي و الحنفي، و هم جزء حي نابض من أجزاء أمة الإسلام أينما كانوا و حيثما وجدوا".[1] فالتجّانيون هم مجموعة من الناس، ينتهجون منهجا واحدًا، أساسه الشريعة الإسلامية، و هدفهم هو: نشر الإسلام و التبشير به، و خدمة المجتمع الإسلامي، و كذلك ذكر الأوراد التجانية المحمدية التي يتقرب بها المريدون على الله للارتقاء و نيل الرضا.

و تعد " التجانية من بين الطرق الصوفية الأكثر انتشارا في العالم على وجه العموم وفي الجزائر على وجه الخصوص، إذ هي طريقة جزائرية الأصل والمنبت، فاسية الصيت والانتشار، أسسها الشيخ أحمد بن العباس بن محمد بن المختار بن سالم التجاني، يتصل نسبه بالسيد الحسن بن الإمام علي . رضي الله عنهما . من زوجته السيدة فاطمة الزهراء . رضي الله عنها . بنت رسول الله صلى الله وسلم عليه وعلى آله".[2]

و هي كذلك مدرسة روحية لتزكية النفس و تهذيبها، و السير بها في مدارج مقام الإحسان، فعقيدتهم عقيدة سلف الأمة بمفهوم المذاهب الأربعة فقهيًا، و الأشاعرة عقائديًا. و هي تنتسب إلى مؤسسها الشيخ أحمد التجّاني المالكي الأشعري، الجزائري المولد و التكوين، الفاسي المغربي الإقامة و الوفاة.

- **<u>بعض أذكار و أوراد التجّانيـــة</u>:**

1- اللهم إني أستغفرك لما تبت إليك منه ثم عدت فيه، و أستغفرك لما وعدتك من نفسي ثم أخلفتك فيه، و أستغفرك لما أردت به وجهك فخالطني فيه ما ليس لك، و أستغفرك للنعم التي أنعمت بها علي فتقويت بها على معاصيك، و أستغفرك الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، عالم الغيب و الشهادة، هو الرحمن الرحيم، لكل ذنب أذنبته، و لكل معصية ارتكبتها، و لكل ذنب أتيت به أحاط علم الله به.

[1] المرجع نفسه: ص 56.

[2] د.عبد الرحمان طالب، الأوراد التجانية اللازمة، 1998، ص 1.

2- الهم مغفرتك أوسع من ذنوبي، و رحمتك أرجى عندي من عملي.

3- اللهم عليك معولي، و بك ملاذي، و إليك التجائي، و عليك توكلي، و بك ثقتي، و على حولك و قوتك اعتمادي، و بجميع مجاري أحكامك رضائي، و بإقراري بسريان قيوميتك في كل شيء، و عدم احتمال خروج شيء دق أو جل عن علمك و قهرك حتى لحظة سكوني.

4- اللهم صل على سيدنا محمد النبي عدد من عليه من خلقك، و صل على سيدنا محمد النبي عدد من لم يصل عليه من خلقك، و صل على سيدنا محمد كما ينبغي لنا أن نصلّي عليه، و صل على سيدنا محمد كما أمرتنا أن نصلي عليه.

5- اللهم صل على سيدنا محمد السابق للخلق نوره، و الرحمة للعالمين ظهوره، عدد من مضى من خلقك و من بقى، و من سعد منهم و من شقى، صلاة تستغرق العد، و تحيط بالحد صلاة لا غاية لها ولا انتهاء، ولا أمد لها ولا انقضاء، صلاتك التي صليت عليه، صلاة دائمة بدوامك، باقية ببقائك، و على آله و أصحابه، كذلك و الحمد لله على ذلك.

6- اللهم صل على سيدنا محمد و على آل سيدنا محمد صلاة تعدل جميع صلوات أهل محبتك، و سلم على سيدنا محمد و على آل سيدنا محمد سلامًا يعدل سلامهم.

نموذج لرسالة الشيخ أحمد التجّاني: مخطوط

قائمـــة المصـادر

و المراجـع

قائمــة المصـادر و المراجـع:

- ***المصــادر***:

- القـرآن الكـريـم.
- علي حرازم : جواهر المعاني و بلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس أحمد التجّاني، تح: محمد الراضي كنون، دار الرشاد، الدار البيضاء، المغرب،ط1، 1432هـ/2011م.
- علي حرازم، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس أحمد التجاني،ج2، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، د ط،1977.
- محمد الكبير التّجاني: مختارات من رسائل الشيخ سيدي أحمد بن محمد التجاني، مطبعة الكرامة، الرباط، المغرب، ط1، 2009.

- ***المراجــع***

- إحسان إلهي ظهير: التصوف المنشأ و المصادر، إدارة ترجمان السنة ، باكستان، ط1، 1986.
- أحمد الإسكندري : الوسيط في الأدب العربي ، مطبعة المعارف ، القاهرة ، مصر.
- أحمد بن عبد الله الأصفهاني أبو نعيم: حلية الأولياء و طبقات الأصفياء، ج10، دار السعادة مصر، ط1996.
- أحمد بن علي الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مكتبة لبنان، لبنان، مج1، 1987، دط.
- أحمد توفيق عباد: التصوف الإسلامي تاريخه ومدارسه المكتبة الأنجلو مصرية ، دط ، 1970.

- أحمد زروق – قواعد التصوف– تح: عبد المجيد خيّالي. دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط2 2005.
- أحمد سكيرج: الكوكب الوهاج لتوضيح المنهاج، دار التجاني، تغزوت، الوادي، الجزائر، ط1، 2009.
- أمال داعوق سعد : فن المراسلة عند مي زيادة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 1 ، 1986.
- آمنة الدهري: الترسل الأدبي بالمغرب، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالمحمدية، جامعة متشيغان ، 2008.
- الجامي: نفحات الأنس، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت، ج1
- الحاج المكي التجاني: سبيل السلام، مخطوط كتب في 21صفر 1407هـ.
- حسين غالب: بيان العرب الجديد، دار الكتاب اللبناني، ط 1، 1971.
- ابن خلدون – المقدمة – دار المصحف، القاهرة مصر .دت.
- ابن خلدون: المقدمة، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 2004.
- ساعد خميسي، نظرية المعرفة عند ابن عربي، دار الفجر للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2001.
- سعيد الشبلي: الإنسان والحرية عند ابن عربي، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، ، دمشق، سوريا، 2007.
- سعيد حوى: مذكرات في منازل الصديقين و الربانيين، دار عمار، بيروت، لبنان، ط م، 1989.
- السعيد ديدي: الشيخ سيدي أحمد التجاني–200 سنة على وفاته– مكتبة الريحان، الوادي، الجزائر، ط1، 2010.
- سفيان زدادقة: الحقيقة والسراب ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ط1 ، 2008.

- السهروردي :عوارف و معارف، مطبوع على هامش"إحياء عوم الدين للغزالي " ، ج1،عالم الكتب، دمشق.
- الشعراني – الطبقات الكبرى. ج1 ط 1343هـ ص4.
- شوقي ضيف : العصر الجاهلي ، دار المعارف ، مصر، ط 1 .
- صابر طعيمة: الصوفية، كلية أصول الدين، الرياض، السعودية، ط 1،1985.
- الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و 7هـ 12/ و13م (نشأته – تياراته – دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة ،الجزائر ،2004.
- الطوسي – اللمع– تح : ع الحليم محمود. طه عبد الباقي سرور. دار الكتب الحديثة ، مصر،1960 ص45.
- أبو عبد الرحمان السلمي: رسالة في بيان أحوال الصوفية ،الناشر للطباعة ،1999.
- عبد الرحمان طالب، الشيخ سيدي أحمد التجاني ومنهاجه في التفسير والفتوى التربية، انجاز الجمعية الثقافية، الوادي، الجزائر، ط2، 2000.
- عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1976.
- عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، تحقيق: معروف زريق وعلي أبو الخير،، دار الجيل، للطباعة و النشر، دمشق ،1995.
- عبد المنعم الحفني: رابعة العدوية: إمامة العاشقين و المحزونين، دار الرشاد، القاهرة، مصر، ط1، 1991.
- عدنان إبراهيم حقي : الصوفية و التصوف، دار الفكر، دمشق، 2010 .
- علي جميل مهنا : الآداب في ظل الخلافة العباسية ، ط 1 ، 1981.

- علي سامي النشّار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: الزهد و التصوف في القرنين الأول و الثاني الهجريين، ج 3، دار المعارف، مصر، ط 1.
- عمر الدقاق : ملامح النثر العباسي : دار الشرق العربي ، ص 30 .
- عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 2 ، 1969 ، ج 1.
- العيد علاوي : التصوف من اشكالية الفهم إلى تيه الممارسة ، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة و الأدب العربي – جامعة محمد خيضر– بسكرة الجزائر ، العدد 08 ، 2012.
- أبي الفرج عبد الرحمان بن الجوزي، تلبيس ابليس، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، ط1،2001 .
- فيصل بدير عون :التصوف الإسلامي الطريق والرجال ، مكتبة سعيد رأفت جامعة عين شمس،مصر، 1983،ص 18.
- فيصل بديرعون: التصوف الإسلامي الطريق والرجال، مكتبة سعيد رأفت جامعة عين شمس، مصر، ط1، 1983، ص 18.
- أبو القاسم جار الله بن أحمد الزمخشري ، أساس البلاغة ، تح محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ،
- القاشاني: اصطلاحات الصوفية،تح: محمد كمال،ابراهيم جعفر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط1،1981.
- القشيري: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن: الرسالة القشيرية ، دار الكتب العلمية،ط1 ،1990 .
- القلقشندي : كتاب صبح الأعشى ، مجلد 1 ، ج 1 .
- كمال اليازجي : الأساليب الأدبية في النثر العربي القديم ، دار الجليل، ط1، 1986 .

- محمد الزحيلي: تعريف عام بالعلوم الشرعية، دار الكوثر للنشر و التوزيع، الجزائر ، دط، دت.
- محمد الطيب السفياني التجاني: الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية، دار التجاني للطباعة والنشر والتوزيع، دت، دط.
- محمد العربي بن السايح: بغية المستفيد لشرح منية المريد، دار التجاني، تغزوت، الجزائر، د ط، د ت.
- محمد الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1933.
- محمد بالمشري: الجامع لدرر العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم، مخطوط متواجد بالزاوية التجانية بتماسين.
- محمد حميد الله، الوثائق الاسلامية، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط4.
- محمد سعيد رمضان البوطي : هذا والدي ، دار الفكر ، دمشق ، 2009.
- محمد صالح المنجد: التقوى، مجموعة زاد للنشر، المملكة العربية السعودية، ط1، 2009.
- محمد عبد الهادي أبو ريدة، الأساس المشترك الاتجاهات، ملتقى الفكر الإسلامي، الجزائر، 1987.
- محمد علي بن علي التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، د ط، د ت،ج2.
- محمد كمال جعفر، التصوف طريقا وتجربة ومذهبا، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1980.
- محمد يونس : في النثر العربي ، مكتبة لبنان ، ط 1 ، 1996 ، ص 178.
- محمد يونس عبد العال: في النثر العربي قضايا و فنون و نصوص، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، ط1، 1996.

- محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي الشافعي: الأذكار من كلام سيد الأبرار، الناشر مكتبة نزارا الباز، الرياض، المملكة العربية السعودية، مجلد، ط1، 1997.
- مي يوسف خليف : النثر العربي بين صدر الاسلام و العصر الأموي ، دار قباء للطباعة و النشر.
- أبو نصر السِّراج الطوسي – اللّمع – تح : ع الحليم محمود. و طه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر، ط 1960 .
- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، تقديم و تحقيق حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، 1969.

- المعاجـــم:

- جمال الدين بن مكرم بن المنظور، لسان العرب، المجلد 15،دار صادر ، بيروت – لبنان –1997م
- الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ضبط و توثيق الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، ط1، 2003.
- مجد الدين أبو طاهر محمد يعقوب ،الفيروز أبادي: قاموس المحيط ،مؤسسة الطباعة و النشر بيروت، لبنان، ط8 ،2005م.
- محمد مرتضى الحسني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق نواف الجراح، دار الأبحاث، ط1، 2001.
- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مج 9،مادة (ص ف.و).

- ***الرسائل الجامعية:***

- إسماعيل حنفوق: دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس(1844-1931)، مذكرة ماجستير، تخصص تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، قسم التاريخ و علم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010-2011.
- خيرة بن غوتي: فتيحة عبد اللاوي: فن الترسل في العهد الرستمي، رسالة ماستر، كلية الآداب و اللغات، تلمسان، 2014/2013.
- مريم شاوش اخوان : الطريقة التجانية و موقفها من مقاومة الامير عبد القادر ، مذكرة ماستر(تاريخ) ، كلية العلوم الانسانية ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر، 2015/2014 .
- نجاة غقالي: أدبية الخطاب النثري في كتابات ابن خلدون، رسالة ماجستير، إشراف : علي خذري، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2005/2004.

- ***المجلات و الملتقيات:***

- أحمد حطيط: الخطاب الصوفي و العولمة، مفهومان متنافران، مجلة الخطاب الصوفي، ع2.
- الجلالي سلطان: دور الرحمانيين في المقاومة الوطنية، أعمال الملتقى الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة التحريرية، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.

- ***المواقع الالكترونية:***

- ويكيبيديا: الموسوعة الحرة www.wikipedia.com.

الفهـــرس

- **مقدمة:** ..... 01-04.
- **الفصل الأول:** تأسيس مفاهيم: أدب الرسائل- التصوف.... 06 .
1- **المبحث الأول:** .ماهية أدب الرسائل .....07.
أ- لغة:.....07.
ب- اصطلاحا: .....08.
2- نشأته و تطوره:.....09.
أ- العصر الجاهلي.....09.
ب- عصر النبي صلى الله عليه وسلم.....10.
ج- عصر الخلفاء الراشدين:..... 11.
د- العصر الأموي:.....13.
هـ- العصر العباسي: .....13.
3- أنواع الرسائل: .....15.
أ- الرسائل الديوانية: .....15.
ب- الرسائل الإخوانية: .....16.
4- الخصائص البنائية للرسالة: 16
أ- بنية المقدمات: .....16.
ب- بنية المضامين: .....17.
ت- بنية الخواتيم: .....18.
5- أغراضـه عند الشيخ أحمد التّجاني: .....18.

أ- رسالة ذات غرض تربيوي:..... 19.

ب- رسالة ذات غرض تعليمي علمي:.....19.

ج- رسالة ذات غرض اجتماعي: .....20.

د- رسالة ذات غرض سياسي: .....20.

هـ- رسالة ذات غرض اقتصادي: .....21.

- **المبحث الثاني:** ماهية التصوف.....23.

1- تعريف التصوف: .....23.

أ- لغة :.....23.

ب- اصطلاحا: .....24.

2- أصل التسمية: .....29.

3- نشأة التصوف الإسلامي:.....31.

4- أنواع التصوف: 34

أ- التصوف السني:.....34.

ب- التصوف الفلسفي: .....34.

ج- تصوف الطرق الصوفية..... 35.

- **الفصل الثاني:** مضامين التصوف في رسائل الشيخ أحمد التجاني 38.

- المبحث الأول: .....39.

1- الحب الإلهي: .....39.

2- النور المحمدي: .....43.

3- الأحوال و المقامات: ..... 47.

أ- التوبة: ..... 51.

ب- الصبر: ..... 54.

ج- الزهد:..... 56.

د- التوكل: ..... 58.

هـ- الرضا: ..... 60.

4- الشريعة: ..... 62.

5- الكشف: .....69.

- **المبحث الثاني:** .....71.

1- الولاية: .....71.

2- الأخلاق و التزكية: .....75.

أ- الذكر: .....76.

ب- التقوى: ..... 81.

ج - العفو: .....83.

- خاتمة: ..... 85.

- الملحق: ..... 89.

- قائمة المصادر و المراجع..... 96.

تم بحمد الله